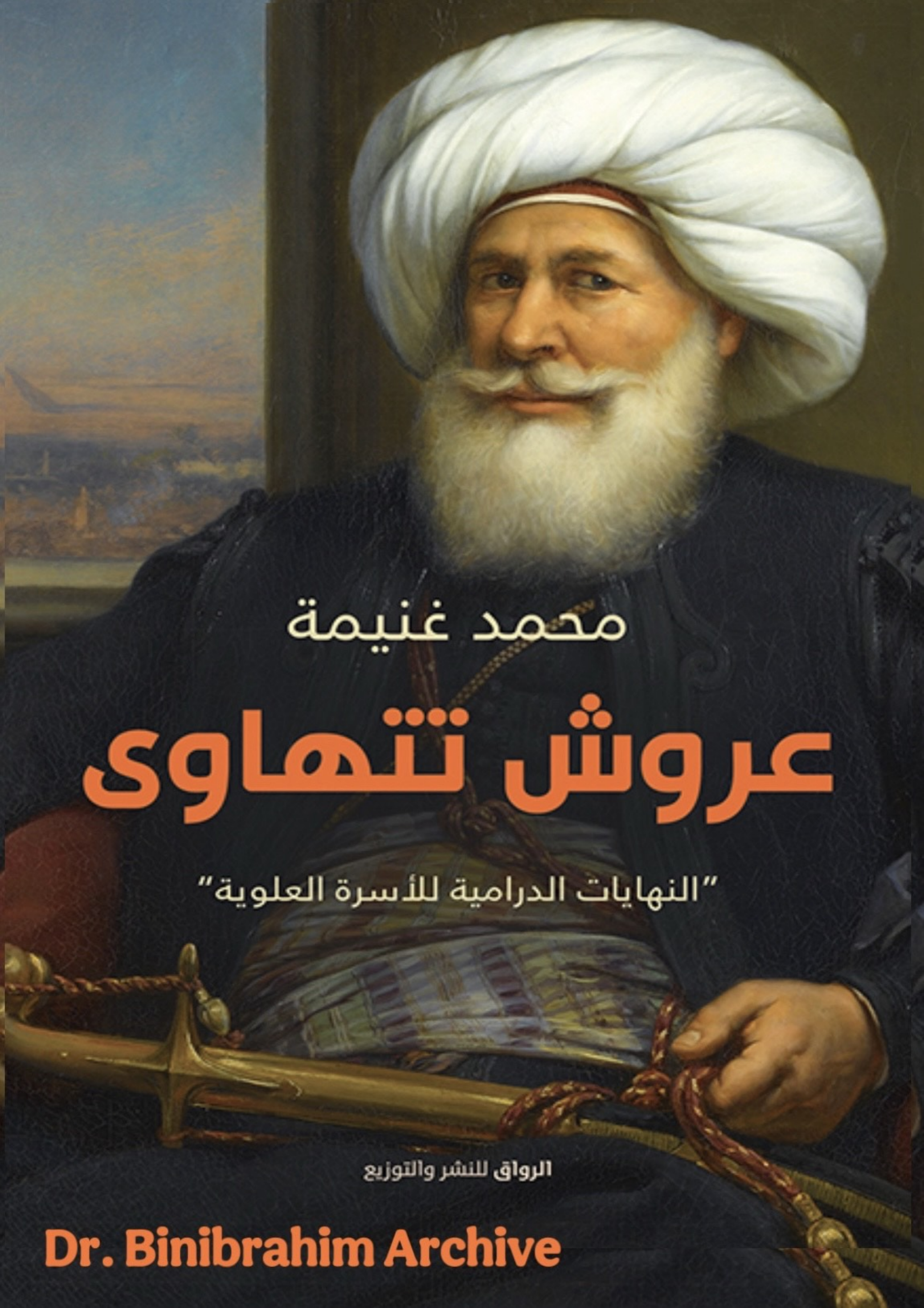


محمد غنيمة
عروش تتهاوى
"النهايات الدرامية للأسرة العلوية"
الرواق للنشر والتوزيع
Dr. Binibrahim Archive

عروش تتهاوى

"النهايات الدرامية للأسرة العلوية"

محمد غنيمة

الرواق للنشر والتوزيع



إهـداء

إلى من تمنيتُ أن أراهم: جمال حمدان.. وأحمس.. وأنت.

الموت أقرب من الحياة..
العيشُ من دون حلمٍ موتٌ وفناء..
الموتُ من دون ذكرى زوالٌ وانتهاء.

محمد غنيمة

مقدمة

عروش تتهاوى.. النهايات الدرامية للأسرة العلوية

عندما عرض عليَّ الأستاذ محمد غنيمة كتابة مقدِّمة لكتابه، لفت نظري عنوان الكتاب، وتساءلتُ: ما الجديد الذي سيأتي به؟ وبدأتُ مطالعة الكتاب ببطء وببعضٍ من التردد، ولكن في الحقيقة لفت انتباهي الأسلوب الأدبي السلس للكتاب، ما يشجِّع على الاستمرار في القراءة بنهَم. ثُمَّ تابعتُ اللحظات الدرامية والإنسانية التي اختارها المؤلف لأبطال دراسته؛ حيث حاول «غنيمة» أن يقدِّم الوجه الآخر للتاريخ، الوجه الذي لم يقدمه التاريخ الرسمي، هذا التاريخ الذي اقتصر فقط على إبراز الوجه المشرق والصلب لحكام الأسرة العلوية، الحروب والانتصارات والمنشآت العظيمة في عصرهم.. لكننا لم نتعرَّف إلى الحاكم الإنسان، واكتفينا بالحاكم نصف الإله، هنا يعود بنا «غنيمة» إلى نمطٍ في الكتابة التاريخية افتقدناه كثيرًا، هو التشابك بين التاريخ والأدب، والمساحة التي يتيحها الكاتب لنفسه ليتقمَّص دور الشخصية التاريخية ويتحدَّث بلسانها، ويكتب ما قد أهمله التاريخ الرسمي.

هذا اللون من الكتابة نحن في أشدِّ الحاجة إليه، هو لونٌ يذكِّرنا بكتابات جرجي زيدان التاريخية، التي لعبت دورًا مهمًّا في انتشار الثقافة التاريخية بين فئات الشباب وغير المتخصصين بوجه عام، كما يمكن توظيف هذا النمط من الكتابة التاريخية في عمل الدراما التاريخية، الدراما التي تعاني، للأسف، خفةً في المعالجة، وأحيانًا كثيرة تزييف الحقائق التاريخية لخدمة أغراض أخرى.

نستطيع أن نفهم ذلك كله من خلال مدخل المؤلِّف في دراسته؛ حيث يقول: «نهايات حكام الأسرة العلوية ليست نهايات التاج فحسب، إنما نهايات الحكام أنفسهم، ويالها من نهايات مأساوية، وكأنَّ لعنةً ما أصابت حُكام هذه السلالة، فما بين مقتول ومخلوع ومعزول، وحتى مخبول، جاء ملكُ الموت ليقبض أرواحهم ويُنهي عصرهم، ولكن سِيَرَهم تبقى وتشهد قبورهم ويشهد التاريخ على إنجازات وإخفاقات، وحتى هرطقات».

نحن أمام كتابةٍ تجمع بين كتابة التاريخ والأدب، وأيضًا الدراما التاريخية.

أ. د. محمد عفيفي
رئيس قسم التاريخ السابق - جامعة القاهرة
الرئيس الأسبق للمجلس الأعلى للثقافة

توطئة

بين الموت والحياة تكمن الأسرار، ويتدفَّق الماضي أمامنا، ويعبر الحاضر؛ ليبقى المستقبل في طيِّ التمني، لكن الأحلام تتحقق إن استطعنا ملاحقة السير بين الماضي والحاضر وتحديد خُطى المستقبل، قد يكون الحلم كبيرًا وقد يكون صغيرًا، لكن الأحلام تتوقَّف على اختلاف الرؤى؛ فدومًا نرى أحلامنا كبيرة وبعيدة، لكنها قد تكون صغيرة أو أكبر بالنسبة للآخرين، وحلم محمد علي باشا كان كبيرًا، أراد أن يصبح إمبراطورًا، أراد أن ينعم باستقلاله بمصر، يصنع فيها عالمه الجديد، سعى إلى حلمه هذا بكل ما أوتي من قوة، وبقدر ما أعطته الحياة من وقت، لكنها الحياة.. فلكل حلمٍ نهاية، ولكل حالمٍ نهاية أيضًا.

أسردُ هنا نهاية الحلم، نهاية أسرة أتى مؤسسها من أراضٍ بعيدة، جاء بحلمه ليغرسه في بلاد عتيقة، اعتبرها موطنه، عاش فيها ومات وفيها، سطع نجمه ثُمَّ أفل، ليسطع نجم أبنائه وأحفاده، قصتنا هنا ليست الحلم، إنما هي زوال الحلم وانتهاء الحكم.

منذ أن جاء محمد علي وجاءت أسرته لتحكم، مجَّدها مؤرخون وهال عليها التراب آخرون، لكننا انتهاء من سلالة البشر، لنا من

الضعف والقوة، الانتصار والانكسار، تجد في هذا الكتاب مشاعر بشر، تسير على درب القبور، لها مآثر ولآلئ، لكن الموت محتوم والحياة طريق نعبره ونسير به، فتلاطمنا عثرات وترفع هاماتنا انتصارات، وقبل أن نبدأ في سرد قصص النهايات الدرامية التي حلَّت بأسرةٍ حكمت مصر مائة وخمسين عامًا، فلا بُدَّ لنا من التعرُّض للسياسة التي انتهجها محمد علي باشا نفسه، مؤسس الدولة وراعيها الأول؛ وذلك ليوطِّن لدولته ويجلس مستريحًا على كرسيه، ولا أحد ينكر أن محمد علي باشا استطاع أن يبني إمبراطورية سطع نورها حتى خشيت الإمبراطوريات العظمى من زوال شمسها وبزوغ شمس مصر.

استطاع محمد علي باشا تخليص مصر من الزعامة الشعبية (كجماعة العلماء بعد تقويض نفوذهم ونفي زعيمهم عمر مكرم في عام ١٨٠٩م)، وبعد أن أطاح بالمماليك في القلعة عام ١٨١١م، بدأ محمد علي في إعادة تنظيم النواحي الإدارية؛ بما يحقق له سيطرة كاملة على موارد البلاد المالية، ومنها إلى الموارد الأخرى كلها.. وبعد أن استقر الوضع واستطاع أن يشيِّد إمبراطورية عظيمة، بدأ في إعادة التفكير بشكل قوي في انتزاع الاعتراف الدولي باستقلاله بولاية مصر، أو على الأقل الاعتراف بوضع متميز له في حكم هذا البلد، شأنه في ذلك شأن المماليك[1]، فسعى إلى إقامة جيش على طُرُز الجيوش الأوروبية، فقد

---

(١) **المماليك** هم الرقيق الأبيض الذين توافدوا على مصر والعالم الإسلامي خلال العصر العباسي الأول، وكانوا يجُلبون من منطقة التركستان الروسية، أو «بلاد ما وراء النهر»، كما عرفها المسلمون، فكانت هذه الدولة بمثابة سوق عظيمة لتجارة الرقيق الأبيض، وقد كثر استخدام هؤلاء في جيوش الدولة الإسلامية ووصلوا إلى أعلى المناصب ونُصِّبوا على أعلى القيادات، حتى إنهم أصبحوا من أرباب النفوذ والسلطان في الدول التي كانوا يتبعونها.

تعلَّم الدرس من سابقيه الذين فشلوا فشلًا ذريعًا في تنفيذ الأمر، ولعل أبرز نقاط القوى التي استطاع محمد علي وضعها تحت سيطرته بشكل واضح هي المحاصيل الزراعية؛ حيث كانت حكومته هي التي تمد الفلاحين بالأموال وتشتري منهم بالأسعار التي يقررها محمد علي نفسه، خاصة القمح.. ومن نباهة محمد علي أنه استغل هذا المحصول لتحقيق حلمه الأثير (الاستقلال بمصر)، فتبيَّن إلى أي مدى ظهرت براعته في توظيف الظروف والمتغيرات لمصلحته[1].

قام محمد علي بتحديث الوضع الاقتصادي، فوضع نظامًا جديدًا لحيازة الأراضي الزراعية، وذلك لمواجهة احتياجات التصدير الذي أدَّى إلى توفير موارد ضخمة وُجِّهت للاستثمار في الصناعة، وكان يتوسَّع عسكريًّا لإيجاد أسواق جديدة للمنتجات المصنَّعة، غير أن هذه السياسات كلها أفضت إلى بدء العد التنازلي لمشروع محمد علي باشا في الاستقلال الذي كان على قناعة تامة بأن الاعتماد على مصادر الثروة في مصر غير كافٍ وحده للاكتفاء الذاتي، هذا كله ما أثار مخاوف الدول الأوروبية ودفعها مبكرًا إلى مقاومة مشروعه التحديثي لمصر؛ فما إن تملَّك محمد علي باشا كل مقومات الدولة وعمَّم السلطة المركزية وأصبح مهيمنًا بشكل قوي على الأوضاع الداخلية، حتى بدأ يطمع في الاستقلال وكان عليه بالضرورة أن يتخطى حدوده الإقليمية ويكوِّن إمبراطوريته، وهذه السياسات أثارت حفيظة بريطانيا

(١) رينيه قطاوي، **محمد علي وأوروبا**، ترجمة: ألفريد يلوز، القاهرة: دار الكتب المصرية، ٢٠٠٨م.

وبعض الدول الأوروبية، فوقَّعوا معاهدة «بلطة ليمان» مع الباب العالي عام ١٨٣٨م، تلك المعاهدة التي تلغي نظام الاحتكار الذي اعتمد عليه محمد علي في بناء اقتصاد الدولة، وبالطبع رفض محمد علي باشا تطبيق هذه المعاهدة على مصر، ولكن ضغط بريطانيا ما لبث أن تحوَّل من ضغط سياسي إلى ضغط عسكري، وأدى ذلك إلى انهيار نظام الاحتكار الذي فرضه الباشا، ما أفقد دولته جزءًا كبيرًا من مواردها الاقتصادية[١].

وفي حلم الاستقلال، حارب محمد علي السلطان العثماني وكاد يستولي على الأستانة، إلا أن روسيا وبريطانيا قامتا بحماية السلطان العثماني وأرغمتاه على الانسحاب عنوةً وأجبرتاه على التراجُع في مؤتمر لندن عام ١٨٤٠م، الذي كانت شروطه إيذانًا بإنهاء إمبراطورية محمد علي، وعلى الرغم من ذلك فإنه اكتسب جزءًا مما كان يطمح هو إليه إن حصل على حكم مصر الوراثي.

من هنا، جاءت فكرة الكتاب «نهايات حكام الأسرة العلوية»، ليست نهايات التاج فقط، وإنما نهايات الحكام أنفسهم، وياها من نهايات مأساوية، وكأن لعنةً ما أصابت حكام هذه السُّلالة، فما بين مقتول ومخلوع ومعزول، وحتى مخبول، جاء ملك الموت ليقبض أرواحهم، وينهي عصرهم، لكن سِيَرَهم تبقى وتشهد قبورهم ويشهد التاريخ على إنجازات وإخفاقات وحتى هرطقات، أقدِّم

(١) يونان لبيب رزق - محسن يوسف، تحديث مصر في عصر محمد علي، الإسكندرية: مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧م.

إليكم قصص النهايات من زاوية أزعم أنها مختلفة، استندت فيها إلى مجموعة كبيرة من الوثائق وبحثت بين حواشي وسطور أضابير الكتب والمؤلفات وحتى المخطوطات.

ولنبدأ من النهاية..

محمد غنيمة



الإمبراطور الذي هوى



- وُلد محمد علي باشا بمدينة قولة المقدونية سنة ١٧٦٩م.
- كان والده قائدًا للجنود غير النظاميين. وقد جاء إلى مصر بعد وفاة والده مع قوة صغيرة جُمعت لمحاربة الفرنسيين.
- رُقِّي بسرعة حتى وصل إلى قيادة أقوى الفرق المحاربة في مصر.
- في بادئ الأمر، رأى محمد علي من مصلحته التحالف مع البرديسي بك للتخلُّص من الوالي العثماني الجديد أحمد باشا، ومن الزعيم المملوكي المنافس الألفي بك. ونجح هذا التحالف في طرد الوالي العثماني.
- قاتل المماليك وطاردهم، وبذلك كسب عطف الشعب وثقة علمائه.
- عيَّنه السلطان العثماني واليًا على مصر.





محمد علي باشا

«نـنظم جندنـا نظما[1]
عجيـبًا يعجز الفهم
بأُسْد ترعـب الخصـم
فمـن يقـوى يناضـلنا
رجــالٌ ما لـها عــددٌ
كمـالُ نظامِـها العُددُ
حُلاها الدرعُ والزردُ
سنان الرمـحِ عاملُنا
وهـل لخيولِـنـا شبـهٌ؟
كرائـمُ مـا بها شــبهُ
إليــها الكـل منتبـهُ
وهـل تخفى أصائلنا؟
لنـا في الجيشِ فرسان
لهـم عنـد اللقـا شانٌ
وفي الهيـجاءِ عنــوانٌ

تَهيـمُ بـه صواهِـلُنا
لنــا الرؤسـاءُ أبطـالُ

(١) نشيد الجيش المصري الأول، من نظم رفاعة الطهطاوي.

رجـالٌ أينما جالـوا

بصولة عيلم صالوا

يفـوقُ الحـدَّ صائلنا

لنـا في المُدْنِ تحصينٌ

وتنظيـمٌ وتحســينٌ

وتـأييـدٌ وتمكيـــنٌ

منيــعاتٌ معاقِلُنا».

القلعة عام ١٨٤٦م

اقترب من الثمانين، يشعر أن أجله قد حان، جمع رجاله وكبار موظفي دولته على مائدة عشائه بالقلعة، طلب منهم أن يردوه إلى الحق.. حاول إقناعهم بأنه لم يعُد يُعلي شيئًا سوى مصلحة الوطن وإسعاد مواطنيه، وعلى غير عادته قال:

«إذا كنت آمر أحدكم شفاهًا أو تحريرًا بقولي له: أجْرِ المادة الفلانية بهذه الصورة وحصل منه اعتراض عليَّ وذكرني وأفادني شفاهًا أو تحريرًا بأن المادة المذكورة مضرة، فهذا يكون منه عين ممنونيتي الزائدة، وأنا مرخص لكم في ذلك الرخصة التامة المرة بعد المرة[1]».

لعلَّ هذه الكلمات الغريبة على أسماعهم لم تزدهم إلا خوفًا، لم يكُن بهذه السلاسة من قبلُ، لا بُدَّ أنها مكيدة جديدة، لم يجد من مجيب.. فقط: أنت ولي النعم، أنت أفندينا، لا تخطئ أبدًا.. لكن الأمر أصبح أكثر حيرة بعدما سمعوه يكمل:

«ولتعلموا أنكم إذا لم تحولوا عن خصالكم القديمة من الآن وصاعدًا ولم ترجعوا عن طرق المداراة والمماشاة ولم تقولوا الحق في كل شيء ولم تجتهدوا في طريق الاستواء، ولم تسلكوا سبيل الصواب لصيانة ذات المصلحة، فلا بُدَّ لي من أن أغتاظ منكم جميعًا، ولما كنت موقنًا بتقدُّم هذا الوطن العزيز على أي صورة كانت، وملتزمًا فريضته عليَّ صرتُ مجبورًا على قهر كل من لم يسلك هذا الطريق المستقيم اضطرارًا

---

(١) من نص كلمته التي نُشرت في «الوقائع المصرية».

مع حرقة كبدي وسيل الدموع من عيني[1]».

كلام لاذع وساخر وصريح للغاية، إن لم يكُن وقحًا كل الوقاحة، نظر إليهم بعينيه الرماديتين اللتين لا تخلوان من الحياة، ونهض من على كرسيه وحرَّك قامته القصيرة وجسده الممتلئ وضرب بذراعيه القصيرتين على طاولته واستحق الجالسون لقب «أشيك»[2].

مقولته هذه، التي جمع قادته وحاشيته ليقولها، هل تشفي وتثلج صدور الحاضرين؟ هل كان يخاطبهم أم كان يخاطب نفسه؟ هل عاد فعلاً لا يبغي من الحياة سوى مصلحة شعبه، أم أحس أن أسطورته أوشكت على الفناء؟ هل عاد يتذكَّر حمام الدماء الذي أساله من المماليك؟

في الليالي كلها، كان يخاطب دهاءه.. يتحدث معه في جلسة بعيدة عن موطن العقول.. دائمًا ما يفاجئ حتى نفسه بأفعاله التي هي بالفعل غابة شائكة من الأفعال المحسوبة، نُظمه غير مألوفة، بدأت تنتابه الآن رعشته المعهودة التي طالما تذكر فيها حرق ابنه «إسماعيل» في السودان، أو هذه المذبحة التي أباد بها المماليك، إنه يتذكر زوجته التي هجرته بسبب فعلته هذه.

---

(١) كتاب ذكرى البطل الفاتح «إبراهيم» باشا، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية.
(٢) أشيك بالتركية تعني «حمار» بالعربية.

أخذ يدقِّق فيه؛ يتمعَّن فيه بشكل مريب، لا يعلم ما الذي حدث لهذا الذئب، ما الذي يفعله مولاه؟! لا يعلم لماذا يتصرَّف بهذه الطريقة! اعتاد أن يعامله بلين. إنه الآن لا يعرفه، كل شيء تغيرَّ، أفعاله دعته إلى أن يتساءل: هل هذا أفندينا؟! لا يستطيع أن يصدق، هل هذا الساكن الخانع المرتكن في طرف غرفته؟! هل هذا هو محمد علي باشا؟! لا يصدق.. إنه هو.. جسدًا، لكن ليس عقلًا.. أخذ يتذكر عندما ذاع صيت تلك المشعوذة العاتية التي أرهبت المحروسة بسحرها وأقنعتهم بأنها صاحبة القوى الخفية، وصديقة أسيادنا.. عندها أمر الذئب بربطها بحجارة ورميها في البحر، تذكر كيف كان جبارًا ثابتًا، وهنا سلم الشعب بأن محمد علي قاهر الأساطير وصاحب الخوارق وحفيد الأولياء.

* * *

في إيطاليا، الابن والأب في رحلة استشفاء، متعثر بشدة في مرضه، يؤلمه أكثر مرض ابنه الغازي، دائمًا كان يتساءل: من يحكم مصر: هذا المريض العليل «إبراهيم»، أم هذا الضعيف المتسلط «عباس»؟! الأطباء كلهم عجزوا عن وصف دواء لدائه، علته شديدة، يعلم أنه في آخر أيامه، تُقتل كل يوم خلية من خلايا عقله الثعلبي.

في ديوان الغوري عام ١٨٤٨م

يجتمع الغازي «إبراهيم»، الذي طالما لام أباه على عدم تركه مواصلة انتصاراته وفتوحاته، هو الآن على رأس جلسة يتناقشون في أمور مريبة، أمور سوف تغيِّر حياة هذا الذئب، تقلب الموازين، انتهت الجلسة، وبعد ساعة، وعلى دقات المنادي، يعلو الآتي:

«إنه نظرًا لمرض محمد علي فقد تشكَّل مجلس فوق العادة تحت رئاسة إبراهيم باشا؛ لتسيير دفة أعمال الحكومة، واجتمع الديوان في ٢٤ من شوال، بحضور العلماء والمشايخ وأشراف البلد ومن لزم حضوره من الذوات بديوان الغوري؛ حيث قرئ على رؤوس الأشهاد الفرمان القاضي بتعيين إبراهيم باشا واليًا على مصر وصدر فرمان التقليد من الباب العالي»[١].

عاد «إبراهيم» إلى قصره، دخل إلى غرفته، أغلق على نفسه الباب، ظل يخاطب نفسه كيف يتعامل مع ولي نعمه وأبيه، كيف يتدبر أمره في إدارة شؤون البلاد، تلك البلاد الضاربة في التاريخ والقديمة قدم الإنسانية نفسها، هل يصبح أباه الثاني، بدأت ضحكاته المتقطعة تتعالى، لم تنتَبْهُ روح السلطة أو يتلبسه الفرح بتقلُّده منصب رأس الدولة، لكنه تذكَّر مولاه وولي نعمته حينما جاؤوه بذاك المصور الفوتوغرافي ليُخرج من آلته هذه بعضًا من الدخان، فيزمجر أبوه: ما هذا؟! إنه رجس من عمل الشيطان، اذهب بعيدًا أيها الشيطان!

(١) من مذكرات «نوبار» باشا.

رأس التين عام ١٨٤٨م

الآن، بدأ المرض يسري في عقل الذئب وجسده، فصار لا يعرف أحدًا، ساكنًا في مكانه، شاردًا بذهنه في رحاب السماوات؛ لعلَّه يتذكر إنجازاته، لعلَّه يبكي على حاله، محكومًا عليه بالنفي داخل جدران ذاكرته، يلمح طيف ابنه «طوسون»، يذكر كيف قدَّم له العون، لعلَّه يتذكر ابنه الذي مات بعد مرضه، هو الذي أرسله إلى الموت والمرض، ابنه هذا الذي كان ظل المكيدة التي أباد بها المماليك، فقد أتى الربيع وأجراس العمر تدق على ابنه «طوسون»، فهذا ميعاد مولده، سوف تضاف سنة جديدة إلى عمره، كان الاحتفال مهيبًا، دعا الذئب حينها المماليك كلهم..

سوف يغادر ابنه «طوسون» إلى الحجاز، جلسوا للتسامُر، احتسوا القهوة، أُغلِقت الأبواب، أمطرت السماء عليهم وابلًا من الرصاص، الدماء متفرقة في أنحاء القلعة، والذئب يجلس مضطربًا ويشد أنفاس نارجيلته، الهلع واضح على ملامحه؛ حوَّل الاحتفالية إلى بركة دماء وحمام انتقام، هذا كله ليثبِّت قدمه في أرض النيل، لكنه ملعون، كلما أحب أحدًا أرسلت عليه السماء طيرًا من أبابيل الموت، وليأتي «الجبرتي» الشامت ويدوِّن: «**أقام أيامًا برشيد ومعه من مصر المغنون وأرباب الآلات المطربة بالعود والقانون والناي والكمنجات، وهم: إبراهيم الوراق والحبابي وقشوة ومن يصحبه من باقي رفقائهم؛ فذهب بعض خواصه إلى رشيد ومعه الجماعة المذكورون فأقام أيامًا وحضر إليه من**

جهة الروم جوارٍ وغلمان وراقصون فانتقل بهم إلى قصر برنمبال[1].
وفي ليلة حلوله بها نزل ما نزل به من المقدور فتمرض بالطاعون وتملَّل نحو عشر ساعات وانقضى نحبه، وذلك ليلة الأحد سابع شهر ذي القعدة، وحضره خليل أفندي قواللي، حاكم رشيد. وعندما خرجت روحه انتفخ جسمه وتغيَّر لونه إلى الزرقة، فغسَّلوه وكفَّنوه ووضعوه في صندوق من الخشب ووصلوا به في السفينة منتصف ليلة الأربعاء عاشره»[2].

الآن أصبح الأمر موجعًا، دخل عليه الحجَّاب: يا ولي النعم، مات ابنك «إبراهيم»، مات الغازي. لم يتفهَّم شيئًا مما قالوه؛ نسي مَن هو «إبراهيم» أصلًا، لم يرمق، لم ينظر أساسًا، يسبح في غيبوبة يقظة، يعلم أن ثمَّة شيئًا كبيرًا يحدث ولكن لا يستطيع عقله تدبره، مات ابنه الغازي الذي طالما انتصر لإرادته، لعلَّ الدماء التي أريقت هي التي تؤرقه، تخرجه من عقله، لا بُدَّ أن موت أغلب أبنائه هو السبب فيما يحدث له، لم يُظهر ضعفًا أبدًا؛ فهو - دائمًا - ما يتكلَّم بدهاء، ويتحدث في حكمة، أم أن فقده للجيش سبب آخر في وعكته؟

الآن، «عباس» الأول يأتي من الحجاز، كان هاربًا من غريمه «إبراهيم» باشا في الرأي والمزاج، كان دومًا على خلاف يمقته «إبراهيم» على بطشه وأفعاله غير السوية، يتذكَّره الباشا محمد علي حينما قصَّ عليه ما فعله بعكا عندما كاد يقتل شخصًا لأنه تجرَّأ واحتك به من

(١) إحدى قرى مركز مطوبس بمحافظة كفر الشيخ الآن.
(٢) من كلمات «الجبرتي» في وفاة «طوسون» باشا، ابن محمد علي باشا.

دون أن يقصد، زفر وزمجر وكادت غدارته تقتله، وأرسله «إبراهيم» إلى أبوه يخبره: **«أما بخصوص عباس، ابن أخينا المرحوم طوسون، فإنه إن كان عباس خاليًا من الشجاعة لكان من الممكن تقبُّل نقائصه، لكنه لا يعمل ولا يسمح للآخرين بالعمل. وهذا ردًّا على سؤالكم عن أحواله معنا».**

يأتي الآن بعد أن أوصت لجنة الاثني عشر بتعيينه على رأس الدولة، فدار الزمان ليصبح الهاربُ واليًا ويصبح الحاكم تحت الركام.

رأس التين عام ١٨٤٩م

تنتابه الآن ذاكرة المحتضر، يمر شريط حياته ويعبر أمام عينيه، تحاصره أفعاله، ينتعش في ذكرى طفولته، يتذكر كيف كان يقتفي أثر أبيه، أراد أن يصبح جنديًا، تذكر عندما كان مُحجِمًا عن الذهاب لمصر المحروسة، وتذكر وجه ذلك الشيخ الصوفي ولحيته البيضاء، هذا الذي نبأه بأن على جبينه النصر[1]، يتذكر الآن نقيب الأشراف عمر مكرم، الذي نفاه إلى دمياط بعد أن قلَّده الحكم، فلم يجزِه خيرًا

(١) جاء محمد علي في عام ١٨٠١م ضابطًا في فرقة الجنود الألبان واشترك في الوقائع الحربية التي انتهت بجلاء الحملة الفرنسية عن مصر وبقي بها منذ ذلك الوقت، وعندما آل الحكم في مصر إلى الدولة العثمانية بعد جلاء الحملة الفرنسية عنها عيَّن السلطان العثماني «خسرو» باشا واليًا على مصر، وبعد قليل بدأ النزاع بين الأتراك والمماليك، فأخذ «خورشيد» باشا يرسل الجيوش لمحاربتهم، لكنه هُزم مرة في الصعيد ومرة أخرى في الوجه البحري فطلب مساعدة محمد علي، لكنه امتنع عن مساعدته.

على فعلته بل أطاحه ليكون جزاؤه هو جزاء «سنمار».

أظهر التمنُّع في هذه الجلسة، التي أجمع فيها العلماء على عزل «خورشيد» باشا وتعيينه واليًا، لكنه كان المحرِّض على الأمر، فنجحت حيلته، هو من قال: **«أنا لا أصلح لذلك ولست من الوزراء ولا من الأمراء ولا من أكابر الدولة»**. فتهافت الجمع: **«قد اخترناك لذلك برأي الجميع والعبرة رضا أهل البلاد»**[1].

يتذكر عندما ترجموا له كتاب الدهاء «الأمير»[2] فرماه وقال لهم: ما هذا الطفل؟ لم يصل بعدُ إلى أدنى مستوياتي! إنها الآن نهايته في ذلك القصر، إنه يلفظ أنفاسه الأخيرة بالإسكندرية التي طالما عشقها، يحبها، تذكره بمعجبه الأوحد «نابليون»، هذا الذي حاك خطة ليهرب به من الجزيرة التي نُفي إليها (سانت هيلانة).

طالما فكَّر مثله، طالما أراد أن يصنع إمبراطورية تفوق الإمبراطوريات العظمى، صنع جيشًا عظيمًا أسسه من المصريين، تعلَّم جيدًا من صديقه «نابليون»، أنشأ نواة للمدرسة الحربية بأسوان، وبعث لهم يقول:

«إليكم يا مفاخر الأماثل والأقران بكباشية جنودنا الجاهدية المقيمين في أسوان وضباطهم من رتبة الصاغ قول أغاسي واليوزباشي والملازمين

(١) عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن الجبرتي، الجزء الخامس.

(٢) كتاب «الأمير» لـ«ميكافيللي»، وهو من الكتب الأكثر جرأة في العالم، وقد أثار هذا الكتاب جدلًا واسعًا عندما نُشر لأول مرة في أوروبا؛ لأن «ميكافيللي» تناول فيه أخلاقيات السياسة، وهو شيء لم يسبقه أحدٌ إليه، وقد أجمع النقاد على أن ما فيه أخلاقيات شريرة، وقالوا إن الكتاب لا يناسب إلا الطغاة الأشرار من الحكام.

وحاملي الأعلام والضباط الآخرين: نبلغكم أن سلك الجهادية الشريف هو أعز المسالك وأكرمها من الوجهتين الدينية والشعبية، وأن الشؤون الحربية هي أهم الشؤون والمصالح بالنسبة للحكومة والوطن، وقد أثنى الله -سبحانه وتعالى- أحسن الثناء على من سلكوا هذا المسلك القويم، لقد واتاكم السعد ونالكم الحظ الأوفر وأمدكم التوفيق الأزلي، فجاء كل منكم وأصبح مظهرًا للعطف والعناية، ومصدرًا للشرف والسعادة كل على قدرها، وتراعوا حقوقها، لهذا التقدير وهذه المراعاة لا يكونان مرة أخرى إلا إذا تركتم عاداتكم التي كنتم مطبوعين عليها ونبذتموها ظهريًّا، وتشبثتم بقواعد المسلك الجديد والحمد لله، فكل منكم محترم الجانب مرعي الخاطر، وكل قوانينكم ونظمكم موافقة، فارجعوا إلى أنفسكم، واقرؤوا ضمائركم واعملوا بمقتضى الرجولة، وليقُم كل منكم ببذل همته في أمور تعليم وتدريب الموجودين في أورطتكم، ولا يهملن في ذلك، وليسعَ إلى أن يكون كل شيء منظمًا أحسن نظام وفقًا لقوانينكم وقواعدكم المقررة، أما ناظركم محمد بك فهو رجلي الأمين الوفي، وهو ناظركم الرؤوف بكم كأنه أبوكم؛ فرضاؤه رضائي وإرادته إرادتي، فلا تخرجوا عن رأيه ولا تنحرفوا عن طاعته ولا تحيدوا عن إدارته بأي حال من الأحوال...»[1].

رفع روحهم المعنوية ووطَّن لفكرة القائد، فَعَلاَ مجدُه وعلت سمعة

(١) من رسالة محمد علي باشا إلى نواة الجيش في أسوان، من كتاب الصنائع والمدارس الحربية في عهد محمد علي، للأمير عمر طوسون.

جيشه، ويأتي رفاعة الطهطاوي وينشد لهم النشيد الأزلي:

رجـالٌ ما لـها عـددُ
كمالُ نظامِها العُددُ
حُلاها الدرعُ والزردُ
سنان الرمحِ عاملُنا
وهـل لخيولِنـا شبهُ؟

يأتيه عقله بين الحين والآخر، صحوة المحتضر، التفَّ حوله أبناؤه، أراد أن يوصيهم، ويلفظ آخر كلماته، يقاوم سكرات موته ويقول: **«ليس لكم يا أولادي وطنٌ غير مصر، فإن لم تسلكوا سبيلي وتتبعوا خطواتي فلا عز لكم وأنا منكم بريء»**[1].

لا يستطيع الحراك؛ فقط يسمع ويرى ولا يتكلم؛ يرى مكانًا لم يكُن يتخيَّله من قبلُ، ويسمع أصواتًا أعذب من أصوات الطيور، وفجأة تنقلب الآية وتتبدَّل الأصوات العذبة بأصوات تجعله يقشعر وتوشك أن تمزِّق أطرافه وتكسرها ولا يستطيع حتى وضع يديه على أذنيه ليحاول التخفيف من وقع هذه الأصوات اللئيمة، ثُمَّ تنتهي الأصوات فيدرك بعض أنفاسه، وما يلبث الأمر حتى يتبدَّل المكان ويصبح مقفرًا مرعبًا مخيفًا، يتمنَّى الموت حتى تنتهي رؤياه.. إنه الآن لا يستطيع حتى تدبُّر أمر نفسه، اشتدَّ مرضُه عليه، فقد عقله ففقد حكمه، فقد جسده؛ فذهبت روحه لبارئها وخالقها، وطوت

(١) من العدد التذكاري لـ«الأهرام»، عن الذكرى المئوية لوفاة محمد علي باشا، سنة ١٩٤٩م.

الأرض حاكمها وأزيح الستار عن حاكم أنار الدرب لأبنائه فأفلت شمسه، لكنها سطعت بين التاريخ.

وبموته انطوى ذكره بعد أن جُمعت له الدنيا بحذافيرها، وخلصت له مصر، وطاب له مُلكها، وبعد أن امتد ملكه إلى أواسط آسيا وشمال أفريقيا، وخضعت له بلاد الأحقاف، وبسط سيادته على مهبط الأنبياء، ومبعث الروح الأمين، ومنزل الوحي، ودار الهجرة، وامتلك الجزيرة العربية بأسرها، من حدود الخليج العربي حتى حدود بلاد العجم، واتسعت سواحل مصر أمامه من باب الساحل حتى تلك الدائرة العظمى إلى باب المندب، ودُعِي له على المنابر بالحرمين الشريفين، وباليمن، والشام، وسار ذكره كل مسير في مشارق الأرض ومغاربها، ثُمَّ زويت عنه الدنيا بآخرته، وانفضَّ الناس من حوله، وحيل بينه وبين ما يشتهي من سياسة التوسُّع، فتقلص ظله، وتقلب دهره، والدهر بالناس قلب، علت مرثاة وجاء الشاعر شهاب بالبيت التاريخي:

ودعاه رضوان أن زر وأرِّخ
زينت للقدوم عندي جنات

أخذ محمد سعيد باشا عبء العزاء، استقبل الوجهاء والنظار والأهالي المصطفين على الطريق المؤدي إلى قصر رأس التين ينتظرون عبور جثمان عزيز مصر، الناس غير مصدقين، الأخبار تطير والصحف تسطر: «الباشا.. عزيز مصر الكبير.. قد مات»[1]. أخذت الباخرة

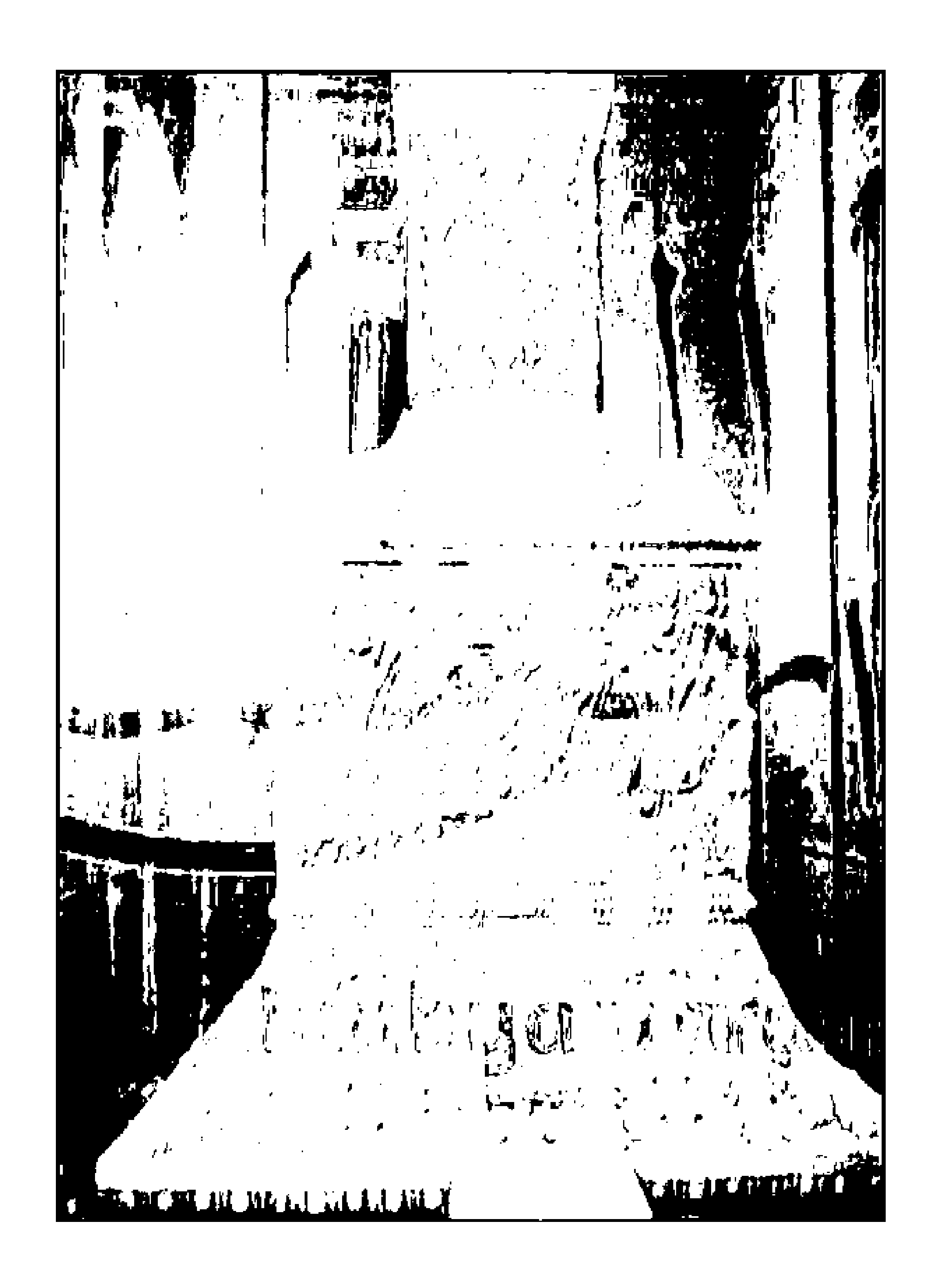
---

(١) كتب القنصل الإنجليزي العام بعبارة بليغة وبتأثُّر غير مألوف فقال: «إن ما تُظهره جميع طبقات السكان في مصر من الحب والتمجيد لاسم محمد علي يسمو في

رفاته وعبرت المحمودية وذهب جسده من رأس التين إلى القلعة؛ فهناك قد بني قبره، وانتهى عصره وجاءت سلالته.

* * *

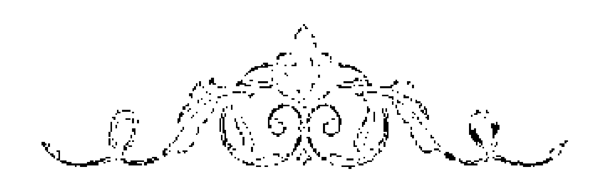
روعته عن أي موكب جنازة اجتمع لخلفه، فلا يزال الشيوخ من السكان يذكرون فضل محمد علي في تخليص البلاد ممَّا كان فيها من الفوضى والاضطرابات. أما الشبان منهم فإنهم ما فتئوا يقارنون بين عهده النشيط وعهد خلفه القائم على التردد والتذبذب، وأخيرًا فإن سائر الطبقات، بما فيها الأتراك والعرب، لا يحسون فقط، بل يخشون التصريح علانيةً بأن يُسر مصر ورخاءها قد انقضيا بوفاة محمد علي.. وفي الحقيقة ليس من سبيل إلى إنكار أن محمد علي كان على الرغم من غلطاته رجلًا عظيمًا».



ضريح محمد علي باشا

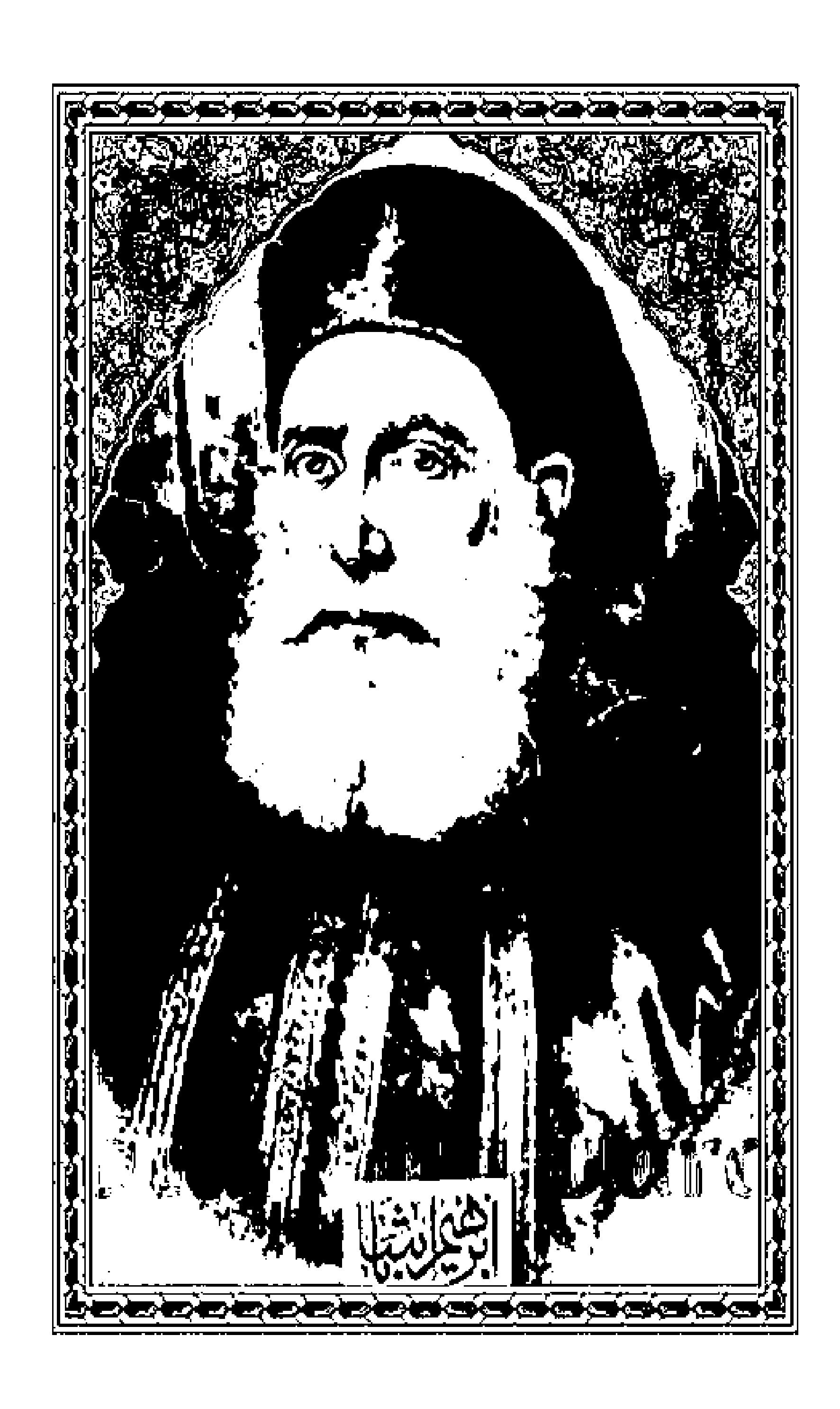


الغازي يتذكر



- هو إبراهيم باشا، الابن الأكبر لمحمد علي باشا.
- وُلد عام ١٧٨٩م في مقدونيا، وقدم إلى مصر بعد تولي والده الولاية.
- توفي في ١٠ نوفمبر ١٨٤٨م في حياة والده، ودُفن في مصر.
- قاد جيوش محمد علي باشا في الحجاز والشام.
- عند مرض والده، أصدر الباب العالي في مارس ١٨٤٨م فرمان توليه مقاليد حكم مصر بالنيابة عن والده.
- تقلَّد ولاية مصر رسميًا في ٢ سبتمبر ١٨٤٨م في حياة والده.





إبراهيم باشا

«ومهما بعثوا من القُوَّاد العظام والجيوش الجرارة فلا يُعقل أن يرسلوا أو يستحصلوا على أقوى وأشجع من عبدكم المخلص إبراهيم، ومهما بحثوا فلا يمكنهم أن يعثروا على مثل جنود العرب الذين أقودهم أنا».

إبراهيم باشا

سبتمبر ١٨٤٨م

لم يخالجه النوم منذ حين، أضغاثُ يقظتِه تهلكه، كوابيسه تضعه في عالم القبور، بين الحياة والموت يعيش، غرفته ملوَّنة بالدماء، كل قتلاه تجمَّعوا في سراديب عينه التي غمَّقها الأرق، ذعر.. ومرض.. وحياة حاكم يتهاوى، كل الرؤوس التي قطعها تمد أياديها لتقنص روحه، تُطبق عليه أنفاسه، يكاد يصل إلى ما وصل إليه أبوه من «الخرف»، إنه الفاتح والغازي «إبراهيم»، هو الذي لا يُقهر، وهو فاتح عكَّا التي لم يستطِع «نابليون» نفسه فتحها، إنه أسطورة تسعى بقدمين على أرض المحروسة، ولكن واأسفاه! اعتراه ذلك المرض العضال الذي لا يعلم ماهيته أحد.

سكن في أحد أركان غرفته، لملم كل أطرافه، طوى ركبتيه، أخذ ينظر في السقف، أصابته تشنُّجات عنيفة، ارتجفت كل مفاصله، ثنت يديه ورجليه، أصبح في وضع مصلوب، صار لا يعرف أحدًا، راح في عالم آخر، غاضت شفتاه بمخيط أبيض، بات مصروعًا ينسج له خياله صورة المعلم «غالي»(١) وهو يقترب من رقبته، يحاول أن يفترس روحه، يتلفَّت «إبراهيم» لغدارته(٢)، مسدسه الذي أفرغه فيه، طالما

(١) المعلم غالي: جامع ضرائب محمد علي، واقترح عليه حفر قناة بين بحر الروم وبحر العرب، لكنه لم يُنفَّذ. ونتيجة لنجاحه الكبير قابله محمد علي بالرضا وأثنى عليه، ومن ثَمَّ اتخذه كاتمًا لسره وخصَّه مباشرةً بالأعمال الحسابية التي ابتكرها، فكانت يده فوق أيدي الجميع حتى حكام الأقاليم. حتى أطلق «إبراهيم» باشا رصاص غدارته عليه في مدينة زفتى، أمام ابنه «طوبيا» فخرَّ صريعًا.

(٢) الغدارة هي آلة لإطلاق القذائف، أكبر من المسدس وأصغر من البندقيَّة، سُمِّيت بذلك لأنَّ العدوَّ يُغدر بها.

ارتعب منه الجميع، إنه حاد الطباع صعب المراس، لكن بقلبٍ يمتلكه بعضٌ من الرأفة والحب، يرى نفسه مصريًّا حتى النخاع على الرغم من قدومه المتأخر إلى أرضها، يحس بأنه شرب المصرية من شمسها وارتشف الحب من نيلها، ها هو يستفيق ويزمجر ويستقيم بجسده البدين وقامته القصيرة.. أخذ يسجح عينيه الرماديتين بقوة حتى يخرج نفسه من هذا العالم البائس البالي الذي يوصد عليه الحياة، وياللهُ من ألمٍ إن لم تستطِع النوم، ألم قاتل وموت محتوم.

دخل إلى مغارته التي اقتنص قواقعها وزينتها من البحر الأحمر، اعتاد الغازي التدخين لساعاتٍ داخلها، يحاول النأي بنفسه داخل هذه المغارة، اصطحب طبيبه «ديامنتي»، أخذ يحدثه ويخاطبه وسط هذا الدخان الذي لا يجد منفذًا للخروج، ظل يتحدث ويتلعثم ويبوح بأسراره المكنونة:

– أتعلم أنني كدتُ أغزو الأستانة؟ كان حتمًا علينا أن نأخذ درة هذا التاج ونصير سلاطينها، لكن أبي الباشا تخاذل ورفض.

لم ينسَ «إبراهيم» قط ما فعله الباشا به، حينما أرسله والده الباشا محمد علي كرهينة عند الباب العالي حتى تستقر الأمور ويستطيع أبوه أن يدفع الجزية، يتذكر جيدًا كل كلمة كتبها حينما اقترب من إخضاع السلطان العثماني، لم يكُن قد بقي له سوى خمسين فرسخًا، كاد يوقع الأستانة في أسره..

«أستطيع أن أصل إلى الأستانة ومعي محمد رشيد باشا، وأستطيع خلع السلطان حالًا ومن دون صعوبة، لكني مضطر أن أعرف هل تسمح لي بتنفيذ هذه الخطة حتى أتذرَّع باتخاذ الوسائل اللازمة»[1].

---

(١) من رسالة «إبراهيم» باشا إلى محمد علي باشا بعدما أسر الصدر الأعظم وقارب على غزو الأستانة، رسالة منشورة بموقع ذاكرة مصر المعاصرة.

هو الآن يتذكَّر كل شيء، يتذكَّر عندما رجع إلى المحروسة مكللًا بالغار؛ أقيم له احتفالٌ دام لسبعة أيام وليالٍ، احتفال مهيب وتكريم لبطل مصر وفارسها المغوار، لكنه الآن ليس بغازٍ، إنه يلفظ أنفاسه الأخيرة ويتحسس أيامه القليلة، يسألها أن تنتهي.

منذ أن رفض أبوه أن يراه وهو في حالة مضطربة، يشعر أنه صار منسيًّا، يشعر بأن كل ما فعله في حياته قد ذهب أدراج الرياح، والده الذي أفنى عمره وصحته وسيفه إرضاءً له يتنكَّر له الآن وينسى كل ما فعله لأجله، منذ أن جمع محمد علي الأعيان وكبار الأحساب والأنساب من دون أن يدعوه، وهو في جلِّ التعب، ممزقة مشاعره، أصبح الأمر أكبر مما ينبغي أن يحدث، كلٌّ ينظر إلى الآخر بانزعاج شديد، هدَّد الكبير بأن يترك مصر ويذهب إلى الحجاز، لم يكُن تهديدًا، بل كان يريد أن يُنهي حياته بالحجاز يكفِّر عن أخطائه وسيئاته بجانب قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - حينها جمع مماليكه وأمر بجمع مائتي ألف جنيه، كان عزمه شديدًا، لكن مرضه منعه عن الأمر.

ديوان الحكم هذا يكظم حركته، لا يرى العرش الآن كما كان يراه سابقًا، ليس هذا العرش الوثير والحياة الرغدة، بل دماء وحروب ومشقة، يشعر بالمرارة، لم ينسَ ما يردده الشعب عنه، ولم ينسَ ما قاله عنه الأتراك، هم من قذفوه بأقذع الألفاظ وأحط التهم، أشاعوا أنه ليس ابنًا لمحمد علي، أشاعوها في قصره، في حوانيت مصر، شوارعها، وحتى بين أفراد جيشه وحاشيته، فتداولها المصريون وشاعت بينهم، صارت كالنار في الهشيم، صار الكل غير مختلف على صحتها، كما أنه لم ينسَ ما قاله عنه «الجبرتي»[1]، مؤرخ هذا الزمان، وكأنه ينتقم

---

(١) يُعتبر عبد الرحمن الجبرتي أهم وأبرز مؤرخ مصري ظهر في القرن الثامن عشر

منه في أبيه، فنعته بأنه:

«شاب جاهل، حضر من بلده ولم يؤدبه مؤدب ولا يعرف شريعة ولا مأمورات ولا منهيات، ولم يتخلَّق إلا بالأخلاق التي دربه عليها والده»[1].

يرى بعضهم أنه غشوم ظالم؛ فهذا ابن البيطار يترجم له ويقول:

«غشوم ظالم، وظلوم غاشم، خليفة الحجاج في أحواله، وتذكرة السفاح في أقواله وأفعاله، تمكَّن من البلاد الشامية، وقهر الناس، واستباح الحرام، وفعل جميع الموبقات والآثام، وفرض على كل فرد من أهل المدن والقرى مالًا أقله خمسة عشر قرشًا وأكثره خمسمائة، تؤخذ في كل سنة، واستولى عسكره على المساجد والمدارس والتكايا، فلم يُمكِّنوا المصلين من دخولها، بل جعلوها لسكناهم ولدوابهم، وقدم العيسوية على المحمدية، وأذلَّ أهل العلم والشرف والاحترام، وأعز الأسافل والطغاة واللئام»[2].

أما السوريون فبعضهم يمقته ويكره أن يراه رأي العين، أما الأكثرية من السوريين فترى أنه الحاكم العادل، هذا الذي جمع المظالم وخفف

ومطلع القرن التاسع عشر؛ حيث يعد كتابه «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار» مصدرًا رئيسيًّا لأحداث مصر إبَّان الحملة الفرنسية وبعدها، فيرى معظم الباحثين الذين درسوا تاريخ مصر في زمن الحملة الفرنسية والفترة الأولى من حكم محمد علي باشا أن كتابه «عجائب الآثار» يُعد اللبنة الأولى وحجر الزاوية في تاريخ هذه الفترة التي امتدت نحو قرن وربع قرن بين عامي ١٦٩٣ و١٨٢٠م، كان «الجبرتي» يرى أن محمد علي هو من قتل ابنه.

(١) «الجبرتي» يتحدث عن «إبراهيم» باشا في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار».

(٢) ابن البيطار، حلية البشر، ١/ ١٥ – ٢٩.

الأعباء.. أما محاربوه وجنود جيشه فيرونه البطل المغوار الذي غزا الأرض وصنع إمبراطورية لم تشهدها مصر من قبلُ؛ فهو الوحيد الذي رافقهم ورقَّاهم وأفاض عليهم بعدله، فدومًا ما كان يترجَّى أباه أن يرقِّي الجنود المصريين، يعتبرونه واحدًا منهم ورمزًا لهم، كان ينوي أن يذهب إلى آخر نقطة في العالم يمكن أن يتحدَّث فيها بالعربية.

يتذكَّر دائمًا رحلته للنقاهة بأوروبا وطريقة معاملة الفرنسيين له؛ فهو الحاكم المنتظَر بعد أبيه، يقدِّرون هذا المحارب الجبار الذي خرج عن كل نصوص كتب الحرب العظيمة، التي حتى أمر بترجمتها، يمر شريط حياته أمامه فيزهو بانتصاراته وفتوحاته، يتذكَّر الآن حينما حطَّمها..

«لقد كانت جيوشنا أشبه بالسيول المنهمرة؛ إذ أمكنها بلوغ معسكر الأعداء سريعًا، وأوقعت فيهم مذبحة كبيرة، ولم يتمكَّن المنهزمون من إنقاذ شيء من أمتعتهم، وطلبوا الفرار كالجراد نحو جبال الحجاز التي تبعثروا فيها، وسارعت خَيَّالتُنا إلى مطاردتهم على مدار ساعة ونصف الساعة، بيد أنها لم تلحق بهم كما كان مأمولنا، وذلك بسبب وعورة الجبال، فعادت دونهم. وغنمنا منهم ٥٠٠ خيمة و٥٠٠٠ جمل وحصان، وكل أمتعتهم التي سقطت جميعها بين يدي قوة جيشنا المسلم، ولما عُدنا من ساحة المعركة، وفرغنا من إعداد كل شيء ضروري لمواصلة السير خلف هؤلاء الخوارج، أرسلنا أولًا إلى سلاح الفرسان والجمالة، ثُمَّ إلى سعادة حسن باشا ليخرج في مطاردتهم بكل الجيش، في يوم ٥ من الشهر الحالي، شهر صفر الخير، في اليوم الموافق ليوم الثلاثاء، وأرسلنا قوة فرقة حسن باشا إلى "طربة" التي لم يُقتل

فيها معظم أولئك الذين كانوا قد فروا من قبلُ إلى الجبال فحسب، وإنما كذلك أرسل إلينا القبيلة كاملة، وما إن رتبنا الأوضاع في هذه البلاد حتى مضينا إلى "بيشة" وبلدان أخرى تقع على مسيرة خمسة أيام من هنا على الحدود المتاخمة للعصاة الخوارج»[1].

أصبح أميرًا لمكة، رُفع مقامه فوق جميع ولاة الإمبراطورية العثمانية، ظل دومًا الفاتح المغوار، لكن دوام الحال من المحال، تجمعت عليه أوروبا كلها[2]، حتى السلطان العثماني نفسه، أمروه أن يترك سوريا وكل أقطار إمبراطوريته التي صنعها بسيفه، وحروبه وجيشه، حتى والده لم يعُد هو، يظن أن والده سوف يدبِّر له أمرًا يهلكه، احتدم عليه السل، خائر القوى هو، لكنه لم ينسَ فتوحه بالشام، هو الذي أرسل لوالده عندما حاصر عكا[3]:

(١) من رسالة محمد علي باشا إلى صديقه «دروفتي»، القنصل الفرنسي بمصر، نُشرت بكتاب «محمد علي ونابليون» لـ«إدوارد دريو».

(٢) اتفاقية لندن عام ١٨٤٠م، نصت على «أن يحول محمد علي وخلفاؤه حكم مصر الوراثي، ويكون له مدة حياته حكم المنطقة الجنوبية من سورية، المعروفة بولاية عكا (فلسطين)، بما فيها مدينة عكا ذاتها وقلعتها، بشرط أن يقبل ذلك في مدة لا تتجاوز عشرة أيام من تاريخ تبليغه هذا القرار، وأن يتبع قبوله بإخلاء جنوده جزيرة كريت وبلاد العرب وإقليم أدنه وسائر البلاد العثمانية عدا ولاية عكا، وأن يعيد إلى تركيا أسطولها، وإن لم يقبل هذا القرار في مدة عشرة أيام يُحرَم الحكم على ولاية عكا، ويُمهل عشرة أيام أخرى لقبول الحكم الوراثي لمصر وسحب جنوده من جميع البلاد العثمانية وإرجاع الأسطول العثماني، فإذا انقضت هذه المهلة من دون قبول تلك الشروط كان السلطان في حِلٍّ من حرمانه ولاية مصر.

(٣) حصار عكا: بعد انتصارٍ سهل، عاد «إبراهيم» باشا إلى مهاجمة عكا وشدَّد الحصار عليها من البر والبحر بمساعدة العرب والدروز والموارنة، وظل يطلق المدافع على أسوارها حتى تصدعت فهاجمها بعنف، ودافعت الحامية دفاعًا مجيدًا وفي النهاية استسلمت المدينة بعد أن استمر حصارها لمدة ستة شهور وفقد الجيش المصري أربعة آلاف وخمسمائة قتيل.

«ومهما بعثوا من القواد العظام والجيوش الجرارة فلا يُعقل أن يرسلوا أو يستحصلوا على أقوى وأشجع من عبدكم المخلص إبراهيم، ومهما بحثوا فلا يمكنهم أن يعثروا على مثل جنود العرب الذين أقودهم أنا»[١].

كما لم ينسَ السودان الذي حُرق فيه أخوه «إسماعيل»، هذا الملك نمر الذي أسكر أخاه وجعله يحتسي المريسة[٢] وأشعل فيه وفي جنوده النار، لم يتوانَ محمد علي باشا في الثأر لابنه منهم، أطاح رؤوسهم، أعلن أن من يأتيه برأس سوداني له جعبة من الذهب، أخذ حقه عن جدارة، ولم ينسَ حروبه بالمورة[٣] ولا نزيب[٤] ولا حتى تلك النبوءة التي ألقت إلى تلابيب كيانه الرهبة من الموت، منذ أن أخبره ذاك المنجِّم بأنه سوف يموت قبل أبيه وهو يحاول ألَّا يكترث كثيرًا لكيفية موته، يخاف من الموت ولكنه الآن يطلبه، منذ أن انقلبت عليه معدته، ومنذ ذاك المرض العضال الذي استشرى بين أوصاله، هذا

---

(١) من خطاب «إبراهيم» باشا إلى أبيه محمد علي باشا، في أثناء حصار عكا.

(٢) المريسة: مشروب سوداني محلي، وهو مُسكر، ويُصنع من التمر والذرة وغيرهما.

(٣) حرب المورة: أولى الحروب التي خاضتها مصر خلال العصر الحديث، التي خاضها الجيش المصري في اليونان بناءً على أوامر السلطان العثماني للرد على الثورة اليونانية ضد العثمانيين بعد فشل «خورشيد» باشا في السيطرة عليها؛ حيث طلب السلطان محمود الثاني من محمد علي باشا السيطرة على الثورة في جزيرة كريت، وفي ١٠ يوليو ١٨٢٤م، أقلع الجيش المصري من الإسكندرية تحت قيادة «إبراهيم» باشا؛ حيث تقابل مع الجيش العثماني ودخلا في معارك شرسة أدت إلى إعادة بلاد المورة إلى سيطرة الدولة العثمانية.

(٤) معركة «نزيب» أو «نصيبين»: وقعت معركة «نزيب» بين مصر والدولة العثمانية إبان عهد محمد علي باشا، وانتصر فيها الجيش المصري، الذي كان تحت قيادة القائد «إبراهيم» باشا، على الجيش العثماني الذي دُمِّر بالكامل.

السل اللعين الذي يعذِّبه وهو يرقد في المغطس المملوء باللبن، هكذا حاول أطباؤه أن يفعلوا شيئًا لكي ينقذوه، منذ أن مرض واعترته علته ولا يلمس فمه شيئًا، شعر بدوار شديد، فاضت روحه وصعدت أنفاسه الأخيرة، بعد أن قضى ستة أشهر فقط على كرسي الحكم، ولكن ظل اسمه محفورًا في جدار الذكريات بأنه الغازي، المنتصر، إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا، المدفون بجوار الإمام الشافعي، وليعلو مدفنه بحوش الباشا[1].

---

(١) قام محمد علي بشراء هذا الحوش عام ١٢٢٠هـ ١٨٠٥م ليبني عليه مدفنًا من قبتين له ولأسرته، وعند وفاة ابنه طوسون عام ١٢٣١هـ ١٨١٦م قام بعمل تركيبة فخمة لقبره وأحاطها بمقصورة برونزية وأوصل المياه إلى قرافة الإمام الشافعي بعد إصلاحاته وتجديداته بسور مجرى العيون، وبعد ذلك تم إنشاء قبتين أخريين خلال الفترة ١٢٣١ - ١٢٣٨هـ ١٨١٦ - ١٨٢٣م، وتم بناء قبتين جديدتين عام ١٢٤٦هـ ١٨٣٠م اشتملتا على ١٥ مدفنًا، وعام ١٣٠١هـ ١٨٨٣م، قام الخديوي توفيق بإنشاء حجرة دفن لوالدته «شفق نور»، وتم عمل عدة أعمال إنشائية في عهد الملك فاروق، منها: بناء المدخل الرئيسي للمدفن وقبة المدخل والدهليز الرئيسي المؤدي إلى المدافن. ومن أهم الشخصيات التي دُفنت بالحوش: «إبراهيم» باشا، والخديوي عباس حلمي الأول، و«عين الحياة»، والدة الخديوي «سعيد»، و«شفق نور»، والدة الخديوي «توفيق».

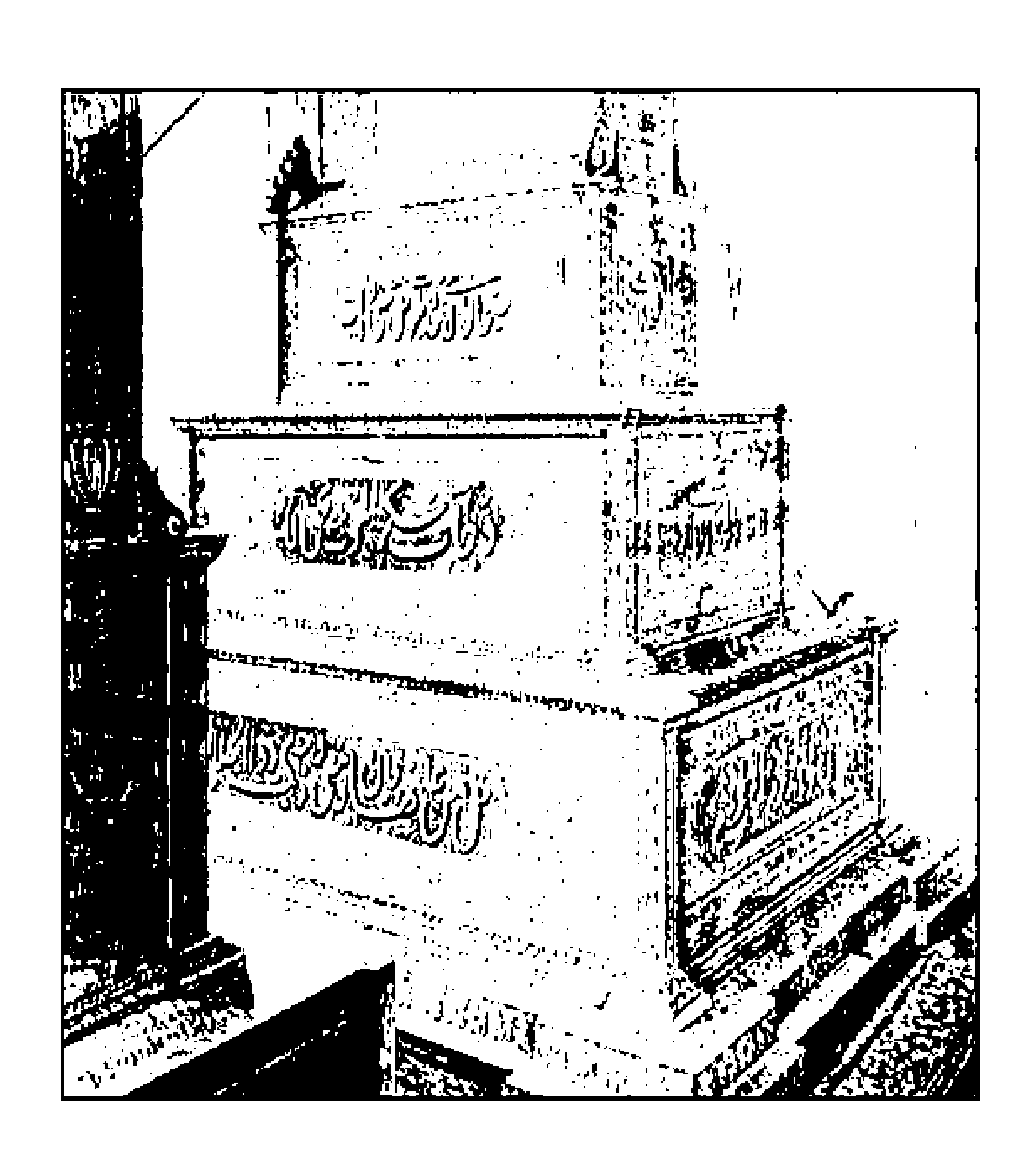
وتكمن أهمية حوش الباشا في اختيار موضعه كامتداد حضاري وعمراني للقرافة الصغرى بجوار قبة الإمام الشافعي، كما أن أهميته المعمارية والفنية تتمثَّل في الطراز المعماري المتأثر بنمط العمارة التركية وتتجلَّى فيه العناصر الزخرفية والفنية ذات الطراز الرومي التركي الوافد على العمارة الإسلامية بمصر، حيث استخدام الألوان الزيتية والتذهيب وأشكال طيات الستائر والأشرطة المتطايرة والعناصر النباتية، كما يحتوي الحوش على مجموعة من التركيبات الرخامية الفخمة المميزة.

ودعاه رضوان بشراك أرّخ زينت للقدوم جنة عدني.

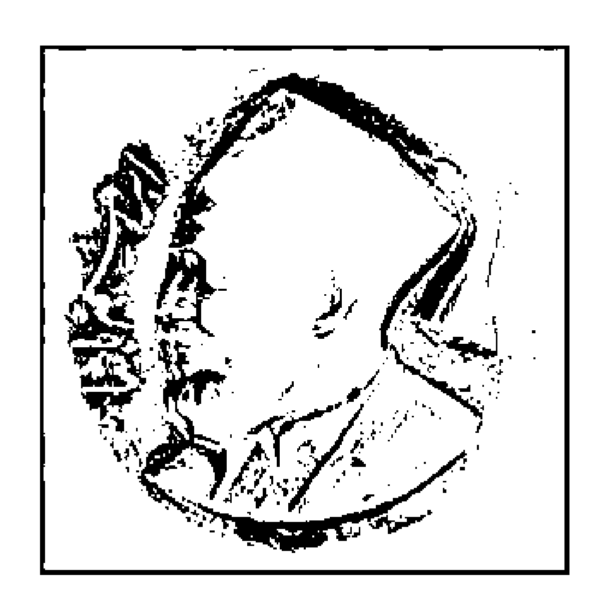
وليعلو تمثاله[1] «سلامٌ على إبراهيم.. قاد جيشه من نصر إلى نصر».

* * *

(١) وللتمثال قصة، حيث يوجد تمثال «إبراهيم» باشا في ميدان الأوبرا (إبراهيم سابقًا)، وهذا التمثال من صُنع الفنان الفرنسي «كورديبه»، وذلك بأمر من الخديوي «إسماعيل» عام ١٨٧٢م، أقيم هذا التمثال في ميدان العتبة الخضراء أولًا، لكنه نُقل بعد ذلك في مكانه الحالي، أحدثت إقامته أزمة بين مصر وتركيا، فقد حدث أن صنع «كورديبه» لوحتين لوضعهما على قاعة التمثال الرخامية، إحداهما تمثل معركة «نزيب»، والثانية تمثل معركة «عكا»، وكانت اللوحتان على وشك أن توضعا على جانبي قاعدة التمثال، لكن السلطات التركية تدخَّلت ورفضت اللوحتين لأنهما تمثلان هزيمتها أمام جيوش مصر، وأخذ «كورديبه» اللوحتين وسافر إلى فرنسا، وعرضهما في معرض باريس عام ١٩٠٠م، وبعد انتهاء مدة العرض، أخذهما إلى بيته وحفظهما في استوديو صغير؛ حيث دفنهما التاريخ. يُذكر أنه حينما عزمت الحكومة المصرية على الاحتفال بمرور مائة سنة على وفاة «إبراهيم» باشا، وذلك عام ١٩٤٨م، أرادت أن تضع اللوحتين في مكانيهما، فاتصلت مصر بفرنسا، وبحثت عن اللوحتين عند حفيد «كورديبه»، وفي متاحف باريس الكبرى، فلم يعثروا لهما على أثر، وقيل إنه وُجدت صورتان فوتوغرافيتان لهما، ولكن بعد ذلك قام الفنانان المصريان أحمد عثمان ومنصور فرج بصنع لوحتين شبيهتين بلوحتي «كورديبه»، وهما الموجودتان حاليًّا على جانبي التمثال.

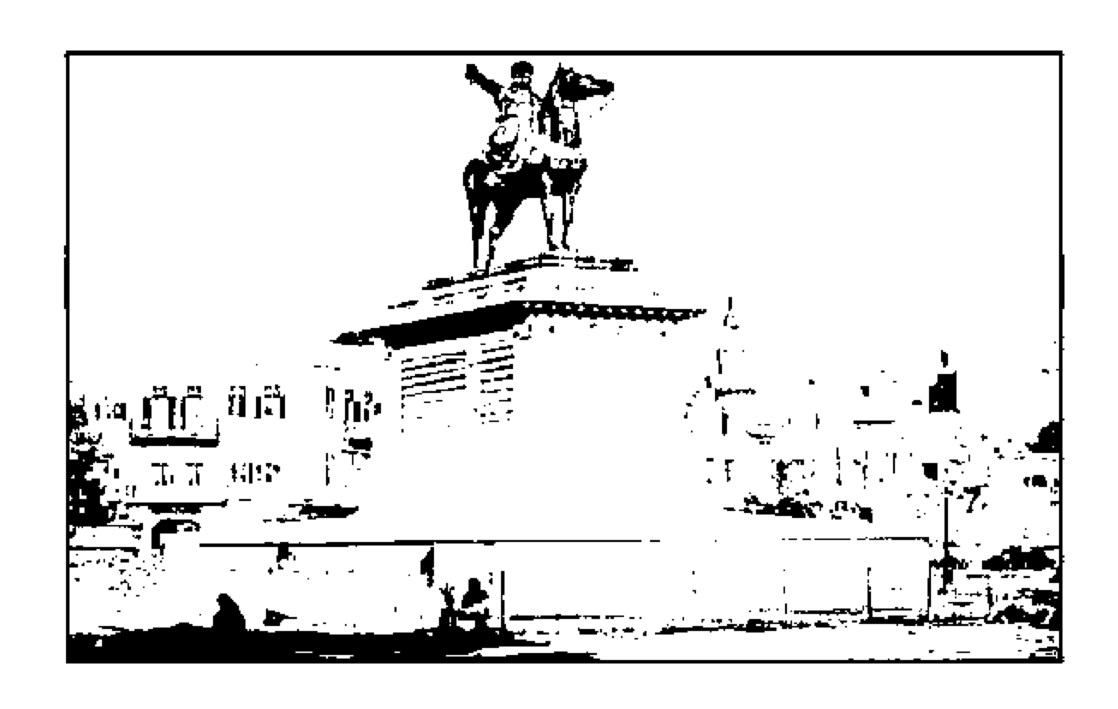


ضريح إبراهيم باشا





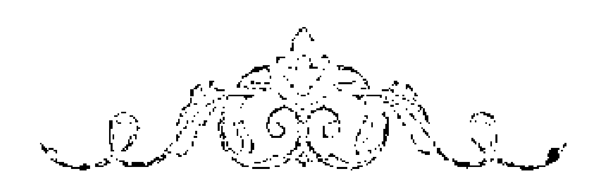
ميدالية تذكارية بمناسبة مرور ١٠٠ عام على وفاة إبراهيم باشا



تمثال إبراهيم باشا



سلفي في قلعة الجبل



- هو عباس بن طوسون (١٨٤٩- ١٨٥٤م).
- تعطَّلت في زمانه المشاريع الإصلاحية التي كانت قد بدأت في فترة جده محمد علي.
- كان «عباس» رجعيًّا واستبداديًّا؛ لم يثق بالأوروبيين ولا بالمصريين الذين شغلوا المناصب العليا، وحتى في أفراد عائلته الذين اضطر قسم كبير منهم إلى العيش خارج مصر.
- لذلك فضَّل «عباس» الحياة وحيدًا خارج القاهرة.
- كان «عباس» لا يثق بالأوروبيين وما سمح بإجراء إصلاحات في مصر.
- لم يهتم «عباس» بالمدارس، فأُغلقت المصانع وعُطلت المشاريع وأُهمل الجيش.





عباس حلمي الأول

«كنت أعرف، لقد حبسني، كان قاسيًا معي
كما كان مع الجميع، لقد عافاه الله وأماته،
لكني أجد نفسي لكوني أباه من الواجب عليَّ
أن أترحم عليه وأدعو له الله».

محمد علي باشا

قلعة الجبل

١٨٥٤م

استشاط ألما وغضبًا، اعتمر قبعة المنتقم، أراد أن يمحو ذكرى جده من كتب التاريخ، أخذ يدمر هنا ويعطل هنا ويتآمر هنا وهناك، يحاول القضاء على كل مَن هو قريب من أسلافه، حاول حتى القضاء على أفكارهم وراقه إيذاؤهم، حاول أولًا استمالتهم، أغدق عليهم الأراضي، يريد أن ينجو بنفسه من هذه المؤامرات التي يراها تُحاك أمامه، لكنه مزاجي ما لبث أن أراد قطع دابر أقاربه، راقه الحكم فأرد تغيير نظامه، حاول أن يستأثر به ويورثه لأبنائه وأحفاده، من دون أن ينظر إلى كل قواعد الحكم وحتميات التاج.

لا ينسى لقاءه جده بعد وفاة غريمه «إبراهيم»، وهرولته من الحجاز التي نفاه عمه الغازي إليها، أو ربما نسي حتمًا أنه من هرب إليها، اعتقد الجميع أنه سلفي وهَّابي؛ فهو من تجرَّأ وتآمر وهرَّب ابن زعيم الوهابيين من قبضة الباشا الكبير، قصة تشبه أقاصيص ألف ليلة وليلة، يرى جده وهو ساكن في أحد أركان الغرفة مصابًا بالخرف، ينظر إليه بكل قسوة: «**ها أنا الحاكم الجديد**». لكن جده ينظر إليه بقوَّة ويذكِّره بنهاية عمه «إبراهيم»: «**لقد لعنت إبراهيم؛ لأنه حبسني، ولذا قبض الله روحه، فلا تتصرف نحوي مثله إذا كنت تريد ألَّا ألعنك أنت أيضًا**». انهالت عليه كلمات جده كالصاعقة، لم يستطِع أن يفعل شيئًا فقط، قبَّل يده وأردف يقول:

- أنت سيدنا وستظل كذلك دائمًا.

ثم أردف الباشا الجد قائلًا:

«كنت أعرف، لقد حبسني، كان قاسيًا معي كما كان [illegible] لقد عافاه الله وأماته، لكني أجد نفسي لكوني أباه من الواجب عليَّ أن أترحَّم عليه وأدعو له الله»[1].

يكره ما فعله جده العظيم بتقرُّبه من الفرنسيين، يكرههم ويمقتهم من كل تلابيب قلبه المحترق، يراهم مشعلي نيران الغزو على الدرعية وأمة الإسلام، أخذ يستمع إلى الإنجليز بكل حفاوة، أحبهم وأغدق عليهم الكثير من الترحاب والمودة، أشاروا عليه بنفي كل ما يسبر الكتابة ومالك للمعرفة، يراهم قاتلي حكمه، نفى كل أتباع الغازي وأبيه، ولا يعلم أحد ما علاقة الأقباط بالأمر، نفاهم للسودان، نفى الكثير منهم حتى تأكلهم الملاريا وتفتك بهم الحُمَّى، قضى على الفرنسيين في دولته، وخلعهم من أماكنهم الحساسة واستبدل بهم إنجليزيين، جعلهم يقتربون منه على الرغم من أنه يهتف ويتشدَّق بأنه لا يريد التدخل الأجنبي، لكنهم عرفوا أن يستميلوه ويجذبوه إليهم، وعرفوا من أين تؤكل كتفه، أشاروا عليه بذلك القطار البخاري الذي يعبر به على أقاليم مصر شرقًا وغربًا وشمالًا، بنوا خطوطًا للطرق، ما أوسعها وأكبرها وأجملها، كره القاهرة وأراد أن يحتجب بنفسه أكثر فخالت عليه الفكرة ولمعت في عينيه، طريق يوصله إلى معزله في ساعات قليلة.

---

(١) من مذكرات «نوبار» باشا.

يعرف ما يثرثر به الفرنسيون عنه، شككوا فيه وفي قدرته الجنسية وحتى قواه العقلية، لعنوه وسبوه، ودمروا سيرته، لكنه لا يأبه لهم، فقط يحاول أن يدمِّر المتآمرين عليه، حتى إن كانت تجري في عروقهم الدماء نفسها التي يمتلكها هو، ومن أقرب من عمته «نازلي» بنت الباشا الكبير؟ ضيَّق عليها الحياة حتى هربت إلى الأستانة، يخاف من كل ما يمتُّ إلى جده بصلة، يخاف حتى من زوجاته الثلاث، وحتى محظياته، الجميع يتآمر عليه، أنشأ «الأمباشية» حتى يحظى بالأمان، فمن دون أن يعي قضى على قطاع الطرق وسارقي الليل، زاد الجاسوسية، لكنه أبدًا لا يهنأ ولا يستقر، دومًا هناك أشياء تعكِّر صفو حياته، فقط وحدها الأموال تُشعره بالسعادة، بدأ يجمع كل الأموال تحت يديه، أصابه الشره، الخزانة العامة كلها تحت تصرفه، لكنه لا ينفق على شيء تفتقر إليه دولته، فقط ينفق على قصوره التي يشيِّدها في أماكن غريبة، حتى وإن كانت على أنقاض معابد المصريين وتاريخهم. كان يكره المصريين، أبادهم في حرب القرم[1]، أرسلهم إلى

---

(١) حرب القرم (١٢٦٩ - ١٢٧٢هـ ١٨٥٣ - ١٨٥٦م): إحدى الحروب التي قامت بين الدولة العثمانية وروسيا، وترجع أسبابها إلى محاولة روسيا التدخل في شؤون الدولة العثمانية والحصول على مكانة كبرى للمسيحيين الأرثوذكس في الأراضي المقدسة المسيحية في فلسطين، وعندما رفضت الدولة العثمانية ذلك، أعلنت روسيا الحرب عليها في ٤ شوال ١٢٦٩هـ ٣ يوليو ١٨٥٣م، وعندئذ انضمت إنجلترا وفرنسا إلى جانب الدولة العثمانية ضد روسيا.. وفي خضمِّ هذه الحرب، أرسل السلطان عبد المجيد إلى «عباس» باشا وطلب منه إرسال قوات عسكرية من مصر للمشاركة في الحرب، فأرسل «عباس» باشا خيرة القوات المصرية، البرية والبحرية، ومن بعده أرسل «سعيد» باشا قوات أخرى شاركت في هذه الحرب؛ فقدمت مصر كثيرًا من التضحيات، وقد انتهت هذه الحرب بهزيمة روسيا، وعقد معاهدة باريس في ٢٣ رجب ١٢٧٢هـ ٣٠ مارس ١٨٥٦م.

حرب فتَّاكة، ضحَّى بهم ليهنأ بمحبَّة السلطان العثماني له. بل ضحَّى بتاريخ المصريين وشيَّد قصره على أنقاض مدينة أتريب العرقية في بنها العسل.

الحرملك

يدخل على حريمه، القصر مكتظ بالنساء، يترنَّح من السعال، يصطدم بتلك الفتاة التي كان حظها بائسًا ويومها هذا أتعس الأيام؛ فبعد أن رأى هذا الدخان الأبيض الذي يتطاير من فمها في حلقات، اشتدت عليه الكحة أكثر وانقبضت روحه، فأمر حجابيه بخيط شفتيها، حاولت زوجته «ماهوش قادين» أن تثنيه عن الأمر لكن من دون جدوى، حاولت أن تستجدي روح الشفقة في قلبه، أقسمت له بكل الكتب السماوية أنها لن تفعلها ثانية؛ أخذت تحدثه عن الألم الذي سوف ينتاب هذه المسكينة من غلق فمها للأبد، وأنها سوف ترمي هذا الشيك (الغليون) في أقرب فيضان للنيل؛ لكن واأسفاه، هو من دون رحمة حينما يتعلق الأمر بشيء من رائحة جده محمد علي، تحوَّل المكان البهي إلى مكان انتقام، ارتفعت صيحات الولولة واستحال لون المكان إلى السواد، حاولت «نازلي» هانم أن تفعل شيئًا، سبَّت ابن أخيها بأقذع الألفاظ، فطردها طردة الكلبة الجرباء من قصرها، طردنا جميعًا أشر طردة، دمَّرنا وانتقم منا دونما سبب، هو فقط يرانا أتباع جده، يجب أن يدمرهم، كان يضمر في نفسه الكره لكل أعمامه، وكأنه ممسوس بسحر سفلي يجعله ينتقم من أي شيء

من دون إرادة، كان يكره ما فعله جده العظيم بتقرُّبه من الفرنسيين، يبغضهم ويمقتهم من كل تلابيب قلبه المحترق، يراهم مشعلي نيران الغزو على الدرعية وأمة الإسلام، أخذ يستمع إلى الإنجليز وهذا المستر «ميلي» بكل حفاوة، أحبهم وأغدق عليهم الكثير من الترحاب والمودة؛ فهم من أرسلوه إلى الأستانة ليقدم ولاءه للسلطان العثماني، اعتبرهم حلفاءه، لم يكُن يعلم أنهم كانوا لا يريدونه هنا، لكن هذا المستر «ميلي» ثعلب ماكر، عرف أن يستميل هذا «العباس» الأخرق، أنسي أنهم كادوا يعزلون جده من سدة الحكم؟! ساعتها لم يكُن له مكان هنا، لو أن شعب رشيد الباسل وقف أمام هذا «الفريزر» وصبوا عليهم زيتهم المغلي، فجعلوهم جثثًا مقلية، الآن هذا «الميلي» هو أقرب الناس إليه، لا أدري كيف وافقهم عندما أشاروا عليه بنفي كل ما يسبر الكتابة والحكمة ومالك للمعرفة للسودان، جعلوه يرى المتعلمين وأصحاب الألباب والحكمة قاتلي حكمه، نفى كل أتباع الغازي وأبيه، وهل يعقل أن الشيخ رفاعة الطهطاوي لم يسلم منه؟! نفاه إلى أقصى بقاع السودان، ولا يعلم أحد ما علاقة الأقباط بالأمر، نفى الكثير من دون أي سبب اقترفوه، نفى كل ما يظنه إفرنجيًّا؛ حتى تأكلهم الملاريا وتفتك بهم الحمى، لولا أن مشايخ الأزهر تدخلوا في الأمر لفرغت مصر منهم جميعًا؛ فهو غريب الأطوار متناقض في ذاته يرى نفسه مخلص هذه البلاد من الوثنية والانحلال، يفرض على حاشيته الصلوات الخمس، كما فعل مع ابنه:

«حيث إن ولدنا سعادة إلهامي[1] باشا وصل إلى حد البلوغ فيجب أن يباشر أداء الصلوات المفروضة علينا في أوقاتها؛ بناء عليه حينما يصل أمري إليكم، اعتنوا بتشويقه وترغيبه في أداء الصلوات الخمس في أوقاتها ولا تتركوا له السبيل لإهمال وترك وقت منها»[2].

ولم ينسَ شعبه أيضًا، فأمر بفريق يجوب المحروسة يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر كما تعلَّم في الحجاز، وهو من تزوَّج من أميرة نجد، طريق جديد يسلكه هو، أمر لم يعتده المصريون من قبل، ما دخل الحاكم بعلاقة الفرد بربه؟ أيريد أن يحاسبهم في الدنيا والآخرة؟

شبَّ وسط الحرملك، وسط هؤلاء النساء اللاتي يتمايلن هنا ويتآمرن هناك، هو المدلَّل الذي لا تُرد كلمته، لديه الحِصن الذي يحميه، جدته «أمينة» هانم، منذ وفاة أبيه «طوسون» وهو يفعل بحمايتها ما يشاء، كان له السلطة على كل نساء الحرملك، يعرف من أين تؤتى خبايا الأسرار، احتفظ بها في ذاكرته، أصبح شكَّاكًا، يميل للعزلة والاحتجاب، أراد أن يهرب من هؤلاء المتربصين به، لا يريد أن يراه أحد وهو بهذه الحالة المتعسرة من المرض، هواجسه تنغِّص عليه حياته، عائلته دومًا تحت منظار الاتهام، حاول قتل عمته «نازلي» سابقًا لكنه لم يفلح.

---

(١) الأمير إبراهيم إلهامي هو ابن عباس حلمي الأول من زوجته ماهوش قادين، وتزوجت ابنته الخديوي «توفيق».

(٢) أحد أوامر عباس حلمي الأول من كتاب «مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمغفور له عباس باشا الأول»، الذي جمعها الأمير محمد علي.

وهنا يعلو صوت «ماهوش قادين»، زوجته، مجازًا:

«يقولون عنك إنك فعلت أشياء لا يرضى عنها الضمير البشري، قاربتُ أن أصدقهم، أرى شخصًا آخر لا أعلمه، لم يؤدبه مؤدب ولا يعرف شريعة ولا حق الإمارة، هذه الإشاعات كلها لحقت بك بسبب هؤلاء "الأيغ أغاسية" الذين جعلتهم ظلك، ووجهك الذي لا يراه الناس، لم أجد سببًا مفهومًا لسخطك على هؤلاء الفرنسيين، هل لمجرد أنهم كانوا أصدقاء الباشا الكبير، أم لأنهم يعتبرون أنك لست كفؤًا لاعتلاء العرش العلوي؟ لكن الأمر تبدَّل الآن، بعد أن فرحنا بإبعادك هؤلاء وجدناك تتقرَّب من هذا القنصل الإنجليزي "ميلي"، جعلته يمسك بكل تلابيب قراراتك، هل تظن أنه سيساعدك كي تجعل من ابنك "إبراهيم إلهامي" وريثًا للعرش، أن تمحو أثر جدك وعمك وأبيك وكل من عانوا لإقامة هذه الدولة؟ أتظن أن "سعيد" باشا، عمك، سيتركك هكذا تعصف بكل أحلامه؟

أتظن أنني سأُسرُّ بما فعلته وتفعله تجاه عمتك "نازلي" وباقي عائلتك؟ إذا لم يكُن لك خير في أهلك فليس لي خير فيك، هل تظن أنك حينما تبدِّل شارة حكمك وتميل إلى هذا "المستر ميلي"، وتجعله مندوبًا لك لدى الباب العالي كي يصبح ابنك وابني إبراهيم إلهامي وريثًا لعرش مصر.. هل تظن أن الأمر سيمر مرور الكرام؟ هل تتخيل أنك مطلق اليد؟ أخاف على ابني الأمير إبراهيم إلهامي من القادم، جعلتنا جفونًا مغلقة وأعينًا مغمضة لكننا لا ننام أبدًا، كيف ننام بعد

كل ما فعلت؟ كيف واتتك الجرأة أن تحاول تغيير نظام الحكم، أن تضرب بكل الاتفاقيات والأعراف عرض الحائط؟ أتريد أن تأخذ حق عمك "سعيد" باشا؟ أتأمن شره؟ لم تصبح "عباس" الذي أحببتُه، أصبحتَ غولًا في شكل إنسان، لم أعد أجد مكانًا كي أختبئ به من كل هذه المكائد التي كنت تتوهم أنها تُدبَّر لك، لكنك جعلتها حقيقية، سلبت مني حريتي وجعلتني أسيرة، أصبحتُ محاصرةً داخل نفسي، وجعلت الأرق صاحبًا لي في كل وقت، الخوف يعتمرني ويصب عليَّ نيرانًا من الغضب والتمرُّد، حتى إنني لم أعُد أراك ولا أشتم ريحك، بل أشتم هشيم النيران يخرج من بين أضلعك؛ حتى حقي كزوجة لم أعُد آخذه أنا وباقي حريمك، كنت أغار من زوجاتك عندما تلقاهن، لكننا الآن جميعًا نتحسَّر عليك، لا نراك ولا حتى نعرفك، حتى إننا شككنا في صحة ما يُقال عنك من أكاذيب.

أصبحت، يا زوجي، غريبًا في طبعك، تتصرف وكأنك إله من آلهة الفراعنة القدامى، بل إنك تجرأت على إله الفراعنة أجمعين، حطمت مدينتهم أتريب، أزلتها من الوجود حتى تبني قصرك مكانها، حطمت معابدها وبنيت قصرك هنا فيها، منذ اعتلَّت صحتك واشتد عليك السعال وأنت لا تأبه لشيء، وهذه المسكينة "آمنة" التي قضيت عليها، أمتَّها في ثوب حياة، راحت نضارتها وأصبحت لا تعيش، تتمنى الموت من هول ما رأت منك، حشدت كل جيوش الألم بها، هل يُعقل أن إنسانًا يخيط شفتي جارية في قصره؟ لم يكتب التاريخ يومًا مثل ما فعلت، حتى الشياطين لا يجرؤون على هذا الفعل الغريب، لا أجد

تعبيرًا كي أصف هذا الألم الذي أحسستُ به عندما سمعت زعقات هذه المسكينة وهي تصرخ وشعرت بها وكأن روح الحياة تنسل من بين جنباتها. منذ أن عرفت أنها تلصصت عليك وشاهدت خيانتك، وأنت تضمر لها الشر، لكن ليس بهذه الطريقة، ما كانت تنفذ سوى أوامري لها، وليست "آمنة" وحسب، لم تترك مكانًا إلا وتركت فيه أثرًا سيئًا. لم أعُد حتى أقوى أن أوجِّه حديثي لك، لم تتحدث لي، كل خبايا عقلك تسرها لهؤلاء "الأيغ أغاسية"[1]، هم من يمنعونني من الدخول إليك، وكأنني منبوذة، أصبحتَ وحيدًا لا ترى إلا نفسك وأفكارك الشيطانية هذه، "أمينة" هانم، زوجة جدك، هي التي زرعت فيك هذا الحقد كله، جعلتك تكره كل عائلتك، جعلتك تكره حتى مولانا المغفور له محمد علي نفسه، لا أعرف كيف أتصرف معك، لن أتركك لتقضي على نفسك، لا بُدَّ أن أواجهك يومًا وأتحدث إليك، لا بُدَّ أن أخفِّف عن نفسي هذا العبء الثقيل، منذ أن منَّت عليَّ الأقدار لأدخل إليك قبرك وسجنك الذي قيَّدت نفسك فيه، وأنت في حالة يُرثى لها، تحيا دونها حياة، حياة أهل الكهف الذين لا يستطيعون الخروج من كهفهم حتى لا يفتك بهم العامة. عندما أشار عليك الطبيب أن تحتسي شمس "الريدانية"، لم يكُن يريد أن تعيش فيها للأبد، أردت أنت أن تبحث عن أي مكان بعيدًا عن القاهرة لتحتجب فيه عن الأعين التي تتوهَّم أنهم يتربصون بك، ها هم فعلاً أصبحوا الآن يتربصون بك وبنا، منذ أن ذهبت إلى الريدانية ولم يكُن

---

(١) الأيغ أغاسية: كلمة فارسية كانت تُستخدم في اللغة العثمانية دلالةً على الأشخاص الذين يقومون بحراسة الحاكم، والقريبين جدًّا منه.

"شريف" باشا، كتخدا مصر، يعلم ما الذي تفعله يا ولي النعم في هذه الصحراء القاحلة، تلك الصحراء التي تجوبها يوميًّا بحصانك العربي الأصيل، حِصانك الذي حكايته تفطر بسببها بدن صاحبها، حِصانك الذي أرغمت صاحبه على بيعه، أجبرته أن يتركه لك وإلا أسكنته أرذل أنواع سجونك، أتذكر وجه هذا الأعرابي وهو يعوي ككلب مجروح سُلب منه أحد جِرائه؟ جمعت كل خيول العرب التي تراها أمامك أو سمعت بها، ملأت الدنيا وكل القصور بهذه الخيول، صنعت غمارًا من الخيول من كل بقاع الأرض، أصبحت أغار عليك من هذه الخيول، أصبحَتْ تشاركنا فيك، بل إنك تعاملها أفضل منا بكثير، تظل ساعات تحدِّثها وتشتكي إليها وتنسانا نحن زوجاتك وأمهات أولادك، ربما تكون الخيل وفية، لكننا أوفياء أيضًا، ما الذي يجعلنا نتآمر عليك؟ ما الذي حجبك عنا؟ أصبحت تميل للعزلة، تهرب منا ومن المحروسة كلها، تتحصن بهذه القصور التي تشيدها في أماكن محجوبة»[1].

الريدانية

لا يعلم شريف باشا ما الذي يفعله ولي النعم في هذه الصحراء القاحلة، تلك الريدانية يجوبها يوميًّا بحصانه الهجين الذي يمتطيه من ذلك الغمار العظيم، هو من جمع أحصنته وخيوله العربية من

---

(١) النص من اختلاق المؤلف؛ حيث فضَّل المؤلف أن تتحدَّث الشخصيات من السرد المباشر.

كل بقاع الأرض، ميله للعزلة جعله يهرب من المحروسة أو ربما أراد أن ينفذ وصية طبيبه بأن يحتسي شمس الصحراء ويمكث بها بعض الوقت، فهو دائمًا خائف من كل شيء حوله، حتى إن كان الهواء الذي يستنشقه، لكنه سرعان ما أمره ببناء قصر له في تلك المنطقة، ليغيِّروا اسمها لتكون «العباسية»، بناه وغلا وأسرف في بنائه حتى إنه أصبح بألفي نافذة، وقال: «**فإذا اعتقدوا أن صرف الأموال على قطعة من الجبل خسارة فإني أنا بنفسي جربت هواء الحصوة وشعرت بفائدته، فلذلك ولخدمة الصحة العمومية أردت عمارتها بإنشاء الأبنية والقصور بها، وبناء عليه أصدرت أمري هذا عقب عودتي من الأستانة بهذا الخصوص وأقصى مرادي عمارة القطعة المذكورة، فإذا ذهب أحد إلى خلاف هذه الحقيقة والمعنى وصمم أن يُبقي أمواله في صندوقه لأفكار واهية فجزاؤه على الله تعالى، وحيث إني مصمم على أمري وإرادتي السابقة فيجب على المجلس المباشر أن يحدِّد مدةً وميعادًا لإنشاء القصور اللازمة وتبليغ جميع الذوات والأمراء، ومن يتأخر عن الامتثال بعد هذه الإرادة في المدة المعينة فعلى المجلس تعيين جزائه لأن ذوات مصر تعودوا أن يلاقوا المعاملة بالشدة وإنزال الجزاء عليهم ولا يدركون معنى انبهار الوجه ولطف المعاملة؛ لذلك يجب نشر وإعلان هذا وعرض النتيجة علينا، وقد حررنا هذا لكم لإجراء إيجابه**»[1].

ثم يعلو مجازًا مرة ثانية صوت «ماهوش قادين»:

---

(١) أحد الأوامر لعباس حلمي الأول من كتاب «تقويم النيل»، لأمين سامي باشا، الجزء الثالث.

«أخبرَني "شريف" باشا أنه ذُهل عندما أبلغته بأن الريدانية هذه سيكون بها قصرك الجديد، أمرته أن تسميها العباسية كما فعلت بحي الحلمية، وهو نفسه "شريف" باشا الذي لم يصدِّق عندما أخبرته بإزالة مساكن هؤلاء المساكين من مدينة أتريب، لإقامة قصر جديد لك تسميه بنها على اسم إحدى القرى، كانت رحلة نيلية أراد أن يأخذك كتخدا مصر في نزهة تشتم الهواء الطلق والعليل، فأعجبك المكان ودارت الأفكار في رأسك التعس، مكان بعيد عن القاهرة، منفى جديد لنا وسجن جديد لك، يقول أحد العمال إنه وجد تمثالًا قديمًا في أثناء الحفر منقوشًا عليه بالهيروغليفية: "سيضرب الموت بجناحيه السامين كل من يعكر صفو الملك" وأنت اغتصبت هذه الأرض، ويلك وويلنا من غضب هؤلاء الملوك القدامى، "مارييت"، الأثري الفرنسي، لا يصدق ما فعلت، كاد الرجل يصاب بالجنون مما فعلته، لكني الآن على كل حال أكره هذا القصر، على الرغم من أنه قصر جميل، بأعمدة رائعة، لكنني ينتابني الضيق به ولا أشعر بالارتياح فيه، سوف أرجع إلى القاهرة بعيدًا عن هذا المنفى، سوف أحاول أن أطيب بخاطر هذه المسكينة "آمنة"، وأحاول أن أتقرب من "نازلي"، على الرغم من أنني أعلم أن ما فعلته لا يُغتفر، يقولون إن وراء كل رجل عظيم امرأة، لكني أبرِّئ نفسي أمام الله، لم يكُن لي أي سند فيما تفعله.

لم تترك لك أي مكان من الحب لدى كل من قابلتَه أو جلستَ معه، حتى "الأيغ أغاسية" أنفسهم، جلدتهم بسبب أنهم تجاسروا وتلامزوا

على غلامك الصغير الذي لقبته بـ"حسين" بك، كانوا خبثاء، لكنَّك جردتهم من شاراتهم العسكرية وجعلتهم خدمًا لخيلك، يبيتون مع روث خيولك ويأكلون ما تمنُّ به عليهم من فتات المأكولات.. أترى؟ هل سيتركونك هم أيضًا، بعد أن كانوا أقرب الناس إليك وأعز الناس؟ أترى؟ هل سيفتدونك بأرواحهم بعد الآن؟ أصبحت بلا أحد، حتى خدمك أصبحت تشك بهم، كل يوم "خليل" بك يأتيك بغلامين جديدين من سوق العبيد، أتمنى أن ترجع إلى صوابك وتعود إلى ذكراك السالفة الحسنة»[1].

قصر بنها

١٤ يوليو عام ١٨٥٤م

يشعر بالسعادة في معزله هذا، لا يحب أن يرى أحدًا، يخاف من كل شيء، يهتز من سماع نباح الكلاب، اختار غلامين جعلهما حاجبيه، اشتراهما من سوق العبيد، أراد أن ينعم ببعضٍ من الراحة النفسية، يحاول الابتعاد بنفسه في هذا القصر الذي بناه على حطام المدن العظيمة، قصر فسيح واسع بأعمدة شاهقة، جمع كل مهندسي الإنجليز ليدشنوا له هذا القصر الفخم، يريد أن يبتعد عن كل مصادر الإزعاج ويصفو له المكان ويلقى نقاهته ويعيش في استجمام، هذه هي سعادته التي خُيِّلت إليه.

(١) النص أيضًا من اختلاق المؤلف؛ حيث فضَّل المؤلف أن تتحدث الشخصيات من السرد المباشر.

يدخل عليه الغلامان في منامته، واحد يكظم أنفاسه والآخر يطعنه بضربة تأتي بمنيَّته، يسرعان بطلب حصانين من إسطبله ويصيحان بالحرس أن يبتعدوا حتى يعبر ولي النعم لقصره بالحلمية، يحملانه ويضعانه في هودجه، يصلان إلى قصره ويضعانه في سريره الأخير.

تدخل إحدى مستولداته[1] تخاطبه، لا يسمع، تكرر النداء وتغيِّر الألفاظ، لا يتغيَّر شيء في الأمر، تقترب منه فتصيح:

«**مات الحاج عباس، مات الحاكم**»[2].

بين الحاشية تبحث عن حجابه، لا تراهم، اندثروا وتبعثروا، لا يُلمح حتى ريحهم، هربوا إلى عالم لا تدري أين! تستجمع نساء القصر أنفاسهن، الدموع المصطنعة تملأ القصر والضمائر الكارهة تهنئ عمه «سعيد»، حان وقت اعتلاء العرش وأخذه من ذلك الراقد والمقتول.. النساء الماكرات يتحدثن، هذا ما يليق به، فعلتها «نازلي»، قبل أن يقتلها قتلته هي.

(١) مستولدة بمعنى جارية.

(٢) وهناك رواية أخرى حول وفاة «عباس» مستمدة من مراسلات القنصل البريطاني في مصر في ذلك الوقت الذي أوضح أن الطبيبين الإيطاليين اللذين فحصا جثته أرجعا وفاته إلى نوبة من نوبات الصرع التي كانت تداهمه في أواخر أيامه وأن أطباءه كانوا يتوقعون إما أن تداهمه نوبة الصرع في أي وقت وإما أن يصاب بالجنون، واستدلوا على ذلك بقسوته الشديدة في أواخر عهده وانفلات أعصابه.



وحيدًا في جنازته



- أول أبناء محمد علي الذين وُلدوا في مصر، حيث وُلد عام ١٨٢٢م.
- بعد اغتيال «عباس»، عُيِّن «سعيد» باشا واليًا على مصر (١٨٥٤-١٨٦٣م).
- شهدت مصر خلال فترة حكمه نهضة في جميع المجالات، لكنها اعتمدت كلها على مصادر خارجية جاءت بشكل قروض أدت في نهاية الأمر إلى إفلاس الخزينة.
- بادر «سعيد» إلى إلغاء الرق واستيراده وبيعه في الأسواق.
- أصدر كذلك قانون الأراضي الذي سمح للفلاح أن يتصرف كيف شاء في أرضه.
- ألغى نظام الاحتكار وشجع التجارة بإلغاء الجمارك الداخلية.
- اهتم بموضوع المواصلات والريِّ ووسائل الاتصال واهتم بالجيش وإرسال الطلاب الى أوروبا.
- أعطى امتيازًا لـ«ديليسبس» لحفر قناة السويس، لمدة ٩٩ عامًا.





محمد سعيد باشا

«أمة جاهلة أسلس قيادةً من أمة متعلمة».

محمد سعيد باشا

قصر رأس التين عام ١٨٦٢م

وحده «برافيه» يجلس بجانبه بعد أن باعه أصحاب المصالح، وحده «برافيه» يرعاه في هذه الحالة المتأخرة من المرض، لا يعلم أحد ما سر هذه العائلة الحاكمة مع لعنة المرض، لا يعرف الأطباء علاجه، منذ أن رجع إلى الإسكندرية وهو راقد بجسده، الذي بدأ في النحول والاهتراء، بدأت تتآكل أطرافه، عيناه زائغتان، لا يقدر على الحركة، فقط ممدد بجسده الفاني في منامته الحاكمة لمصر والسودان.

ها هو «برافيه» يحاول رد جزءٍ من جميله عليه، فهو يدين له بكل غالٍ ونفيس، فكم أغدق عليه بالعطايا حتى صار مليونيرًا في بضع سنوات، ما زال يعتصره الألم مما رآه من هؤلاء الحاشية المتملقة التي آثرت استمالة ابن أخيه «إسماعيل»، يتساءل: كيف يكون الرجل كريمًا معهم هكذا فيتركونه دون حتى نبس كلمة واحدة؟ بل ليس هذا يكفيهم، هم يتعجلون موته، لا يعلم كيف ينتاب البشر هذه الشراهة ويتحولون إلى أشباه حيوانات ينهبون هنا ويعيثون في الأرض فسادًا، كيف لهذا «الديليسبس» أن يتركه بهذه الحالة الموجعة؟ ألا يتذكر ما أعطاه إياه؟! ألا يتذكر كيف كان يعامله؟! كان يراه بمثابة الأخ الذي لم ينجبه محمد علي باشا الكبير.

كم من مرة يحاول «برافيه» أن يرد له الجميل؛ فسابقًا اصطحب صديقه وولي نعمته في رحلة سحرية لمدينة النور «باريس»، لِمَ لا

وهو من أرسل الأورطة السودانية[1] التي جُمعت من أهداب القارة السمراء وأدغالها؟ أرسلهم في رحلة أشبه برحلة الموت إلى المكسيك..

هذا كله لم يُشبع صديقه الفرنسي، لكنها الحياة، أغلى شيء يمتلكه الفرد، استبسل هؤلاء وأظهروا الكفاءة فأرسل قائد القوات الفرنسية يقول: «**تميزت الأورطة المصرية السودانية بأعمالها البارعة وصبرها على الحرمان واحتمال المشاق وشجاعتها في إطلاق النيران وجلدها في المشي**».

أقام «برافيه» معه بقصر «التوليري بليون»، وتزيَّنت فرنسا له، عبر معه قوس النصر، تلونت الصحف بالترحاب بحاكم أحفاد الفراعنة، لم تكُن رحلة للنزهة بل للاستشفاء، ولكن من دون فائدة؛ فكل عتاد الأطباء لم يستطِع فعل شيء، حتمًا سوف يموت قريبًا.

---

(١) الأورطة السودانية: طلب نابليون الثالث من محمد سعيد باشا أن يمده بكتيبة من الجنود المصريين ممن تعوَّدوا القتال في الأماكن الحارة وظروفها الجوية المشابهة لجو المكسيك، فقد كان الفرنسيون غير معتادين على القتال في درجات حرارة مرتفعة هكذا وتعرض كثيرٌ منهم للموت والهلاك بسبب تفشي الحمى الصفراء بينهم، ووجدت الحكومة الفرنسية أن العناصر البيضاء لا تصلح للخدمة العسكرية في تلك المناطق الحارة، فكان أن فكر بصديقه «سعيد» باشا، والي مصر، وطلب منه أن يمده بكتيبة من الجنود الذين يتحملون هذه الظروف المناخية، ووافق «سعيد» باشا على طلبه وأمده بكتيبة من الجنود السودانيين الأشداء يقودهم البكباشي جبرة الله محمد أفندي والصاغ محمد أفندي الماس.. وفي ٨ يناير سنة ١٨٦٣م أقلعت الناقلة الفرنسية «لاسين» (la seine) بهذه الكتيبة من الإسكندرية مارَّة بميناء طولون حتى وصلت بها إلى «فيراكروز» (ver cruz) بالمكسيك، وجاء في التقارير الفرنسية أنها كانت ذات ملابس حسنة وسلاح جيد واستعداد عسكري يثير إعجاب كل من يراها.

لا يريد الزينة ولا الاستقبالات الرسمية التي أصبحت ترهقه، لم يعد يتحمَّل، أرسل إلى «إسماعيل» باشا يطلب منه:

«نظرًا للأخبار الواردة لطرفي من محافظ الإسكندرية، من أن هناك استعدادات جارية تتعلق بإقامة زينة واحتفالات عند عودتي، نحيطكم علمًا أني لا أريد أن يتحمَّل أي شخص مصاريف زائدة ولا أرغب في أن الأهالي والمستخدمين (الموظفين) يُكلِّفون أنفسهم مصاريف التزلُّف إليَّ، أما ذاتكم الشريفة إذا تفضلتم بالحضور لاستقبالي فأكون ممنونًا ومحظوظًا جدًّا»[1].

القاهرة - قلعة الجبل

ظل «يسي» بك، مدير المخابرات التلغرافية، متربصًا بآلته أكثر من ثمانٍ وأربعين ساعة، ينتظر ذلك التلغراف الذي سيؤمِّن له كيسًا من الكرم وجعبة من العملات الذهبية، ينتظر لقبًا آخر يضيف لإقطاعه، غفل بضعًا من الساعات، استقبل صغير موظفيه النبأ المحتوم، ففغر فاه، وتنسَّم الحلم، قد أتته النعمة من حيث لا يدري، نظر في كل الاتجاهات، أراد أن يعلم هل رصد أحد ما رصده هو، أخذ التلغراف وركب بساط الريح وتوقف عند قصر الحاكم الجديد، علم «إسماعيل» بقدومه فأفسح له المجال، أتاح له الكلام، فخضع الصغير أمام الحاكم

(١) من رسالة محمد سعيد باشا إلى الأمير إسماعيل في أثناء عودته من العلاج بفرنسا، من مذكرات عرابي باشا.

الجديد وناوله تميمة حظه، وقرأ على مسامعه النبأ السار، فأصبح بيكًا جديدًا، ومن صعلوك إلى صاحب المعالي، وتناول كراكه[1] ورجع الأخير ليغنم من جديد وتصير هذه البرقية هي برقية سعده وهنائه، وتعاسة وشقاء مديره الذي احتال عليه فسرق خبره وأخذ من كيسه واحتل مكانته.

ينتظر «إسماعيل» نفسه هذا الخبر، من وقت هذه الحفلة التي دعا إليها محمد سعيد باشا الأمراء إلى الإسكندرية، فذهبوا جميعًا إلَّا هو، كان مريضًا، وبعد انتهاء الحفلة عاد الأميران أحمد باشا رفعت[2] والأمير «حليم» بقطارٍ خاصٍّ إلى القاهرة، والقطار يعبر النيل عند كفر الزيات في معدية، لم يكُن هناك كوبري، هنا كانت نهاية أبناء الباشا، وقعت العربة بالنيل، ابنه الأمير كان بدينًا فمات غرقًا، هنا أصبح «إسماعيل» الحاكم المنتظر.

اصطفت المدافع وأطلقت صيحاتها، غربت شمس محمد سعيد باشا وسطعت شمس «إسماعيل»، فزحف الأفَّاكون إلى قصر «إسماعيل»، واستوطنوا بقربه وأظهروا له الولاء والطاعة، فارتدى الوالي الجديد لباس الحكم وأمر حاشيته بمداراة جسد عمه «سعيد» بالنبي دانيال، وضعه بقرب الإسكندر ليظل بقرب أعين الناس، يقطن وجدانهم.

---

(١) كراك: بمعنى هبة أو مكرمة من الأمير أو الحاكم، ويطلق عليها «حلوان» في بعض الأحيان.

(٢) أحمد باشا رفعت هو أكبر أبناء «إبراهيم» باشا ابن محمد علي.

الإسكندرية

١٨ يناير ١٨٦٣م

الجنازة خالية من الأبهة الملكية، لا تليق بحاكم استدعى كل طاقاته لكي تعيش الأمة في رخاء، قلة قليلة من الرجال، لا يرى «برافيه» أحدًا من الأمراء، كلهم بقلعة الجبل، المهنئون تعلو أصواتهم بالمباركة للحاكم الجديد، لا يراعون حرمة الموت، لا يتذكرون شيئًا مما فعله سعيد الاسم، مسكين الموت.. لا يتذكرون لائحته السعيدية التي جعلتهم يمتلكون الأطيان ويصيرون من الأعيان، هو من قال عن شعبهم في ذلك الحفل ومأدبة العشاء التي جمعهم فيها على مائدته، قال مخاطبًا الحاضرين من العلماء والرؤساء الروحانيين وأفراد الأسرة الحاكمة وكبار رجال الدولة:

«أيها الإخوان، إني نظرتُ في أحوال هذا الشعب المصري من حيث التاريخ فوجدته مظلومًا مستعبَدًا لغيره من أمم الأرض، فقد توالت عليه دول ظالمة له كثيرة كالعرب الرعاة (الهكسوس) والآشوريين والفرس، حتى أهل ليبيا والسودان واليونان والرومان، وهذا قبل الإسلام، وبعده تغلَّب على هذه البلاد كثيرٌ من الدول الفاتحة كالأمويين والعباسيين والفاطميين من العرب والترك والأكراد والشركس، وكثيرًا ما أغارت فرنسا عليها حتى احتلتها في أوائل هذا القرن في زمن «بونابرت».

وحيث إني أعتبر نفسي مصريًّا فوجب عليَّ أن أربي هذا الشعب

وأهذبه تهذيبًا حتى أجعله صالحًا لأن يخدم بلاده خدمة صحيحة نافعة ويستغني بنفسه عن الأجانب، وقد وطدت نفسي على إبراز هذا الرأي من الفكر إلى العمل»[1].

لا يتذكرون ما فعله بجيشهم، لا يتذكرون كيف ألغى لهم الدخولية، تلك الضريبة التي سحقت رقاب الناس، لا يتذكرون الآثار التي حافظ عليها، لم يتذكروا له شيئًا سوى هذا الامتياز الخاص بقناة السويس الذي أضاع به مشروع عمره، كان يأمل أن يراه يكتمل، كان يعتبره تتمة لمشروع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، كل الأعين لا تراه، فقط صياح وتهليل للأمير القادم إلى سدة الحكم.

* * *

(١) من مذكرات «عرابي» باشا.



مقابر الأسرة العلوية بالإسكندرية التي دُفن فيها محمد سعيد باشا
قبل نقله إلى قبة الباشا



المعزول



- هو إسماعيل بن إبراهيم باشا ابن محمد علي.
- وُلد في ١٢ يناير ١٨٣٠م.. تُوفي في ٢ مارس ١٨٩٥م بالأستانة.
- عُيِّن إسماعيل بن إبراهيم واليًا على مصر بتعيين سلطاني.
- كان «إسماعيل» قد تلقَّى تعليمًا جزئيًا في أوروبا وشغل مناصب إدارية فكسب بذلك خبرة سياسية.
- يمثل حكمه تحولًا بارزًا في تاريخ مصر.
- كان «إسماعيل» يثق بالأوروبيين ويود تحويل مصر إلى دولة ذات طابع أوروبي.
- إن سنوات حكم «إسماعيل» كانت سنوات تطور وتقدم في شتى المجالات، وفتحت هذه الإصلاحات أعين المصريين على الحضارة الغربية.
- من أعماله: زيادة أفراد الجيش/ نال لقب «خديوي» من السلطان/ تشكيل مجلس نيابي (برلمان)/ أقام البلديات في المدن/ اهتم بالزراعة والفلاحين والري وشبكة المواصلات والاتصالات/ كذلك إنشاء المطابع والصحف وافتتح قناة السويس وأسرف بشراهة على الحفل.





الخديوي إسماعيل

تلغراف

«إلى سمو إسماعيل باشا، خديوي مصر السابق..

إن الصعوبات الداخلية والخارجية التي وقعت أخيرًا في مصر قد بلغت من خطورة الشأن حدًّا يؤدي استمراره إلى إيجاد المشكلات والمخاطر لمصر والسلطنة العثمانية؛ ولمَّا كان الباب العالي يرى أن توفير أسباب الراحة والطمأنينة للأهالي من أهم واجباته ومما يقتضيه الفرمان الذي خوَّلكم حكم مصر، ولمَّا تبيَّن أن بقاءكم في الحكم يزيد المصاعب الحالية، فقد أصدر جلالة السلطان إرادته بناءً على قرار مجلس الوزراء بإسناد منصب الخديوية المصرية إلى صاحب السمو الأمير توفيق باشا، وأرسلت الإرادة السنية في تلغراف آخر إلى سموه بتنصيبه خديويًّا لمصر، وعليه أدعو سموكم عند تسلمكم هذه الرسالة إلى التخلي عن حكم مصر احترامًا للفرمان السلطاني».

تلغراف عزل الخديوي إسماعيل[1]

(١) من كتاب «إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية».

أشاح بعينيه لأعلى، بدأ برفع ذلك الوشاح القماشي عن ذلك التمثال البرونزي، أراد أن يضعه بباحة قصره بعابدين، لكنه لم يستطِع، استطرد بنظره في ملامح جده الحادة، تؤرقه سيرته أحيانًا وتبهجه أحيانًا، لكنه شعر بالفخر والفرح عندما أخبره الطليان عن مجسمه هذا، أراد أن يكرمه أو يخلده أو حتى يلملم بعض ماء وجهه الذي تناثرت شظاياه عبر بحار العالم وقاراته، لا بُدَّ أنه سوف يزور قبر جده «إسماعيل»، ذلك المسرف المتطور، يخاله امتدادًا لجده الأكبر محمد علي، أو ربما يشعر بأن نهايته ستكون هي نهاية صاحب هذا التمثال الذي يشرع في إزاحة الستار عنه الآن. لا يغفل أبدًا عن قصة صاحب الأريكة الخديوية لسبعة عشر عامًا ونيف.

طالما شعر «فاروق» بأن عليه رد الجميل لهذا القابع برفاته بمسجد الرفاعي، هناك شيء ما يجذبه إليه، أو أنه يخاف من ذاك المصير، يشعر بأن نهايتهما قد تتشابه، لا بُدَّ أن ذلك التلغراف الذي قرأه عشرات المرات يؤرقه ويشعره بالخوف على كرسيه وتاجه.. كثيرًا ما يسأل نفسه هل ينقلب عليه الحال ويُنفى هو الآخر من موطنه وحياته الألقة هذه؟! وكأن عباءة الحكم هذه عباءة نحسة.

دائمًا ما يتخذ جده «إسماعيل» رمزه الأعلى، ولهذا دأب على التحقق من أمر هذه المؤامرة التي أطاحت سليل عرقه العلوي، ها هو يسأل كل أقاربه ومعارفه ومعلميه، يحاول أن يستجمع بقايا ذكراه، فهم

أنه أراد أن تصير مصر بلدة حرة، قرارها من عقلها.. علم أن جده تعشم في أن الباب العالي لن يخذله، لكنها المصالح، لكن في النهاية يبقى لـ«إسماعيل» أنه نال شرف المحاولة، لقد حاول بجد واستماتة أن يؤخر الأمر أو يؤجله، لكن من دون فائدة.

٢٩ يونيو ١٨٧٩م

- أفندينا.. تلغراف.

«بناءً على أن الخطة المصرية هي من الأجزاء المتممة لجسم ممالك السلطنة السنية، وأن غاية صاحب الشوكة والاقتدار إنما هي تأمين أسباب الترقي وحفظ الأمن والعمارة في الممالك، وبناءً على أن الامتيازات والشرائط المخصوصة الممنوحة للخديوية المصرية مبنية على ما للحضرة الشاهانية من المقاصد المذكورة الخيرية، وبناءً على تزايد أهمية ما حصل في القطر المصري ناشئًا عمّا وقع فيه من المشكلات الداخلية والخارجية الفائقة العادة؛ وجب تنازل والد جنابكم العالي إسماعيل باشا، ثُمَّ إنه بناءً على ما اتصفت به ذاتكم السامية الآصفانية من الرشد وحسن الروية، وعلى ما ثبت لدى ملجأ الخلافة الأسمى من أن جنابكم الدواري ستوفقون إلى استحصال الأسباب الأمنية والرفاهية لصنوف الأهالي، وإلى إدارة أمور المملكة على وفاق إدارة الحضرة الشاهانية الملوكانية، توجَّهت الإرادة العلية بتوجيه الخديوية الجليلة إلى عهدة استئهال آصفانيتكم. وبناءً على الفرمان العالي الشأن

الذي سيصدر حسب العادة على مقتضى الإرادة السنية السلطانية التي صار شرف صدورها، وبناءً على ما كُتب بالتلغراف، إلى حضرة المشار إليه إسماعيل باشا من تخليه عن النظر في أمور الحكومة وتفرغه منها بصورة وقوع انفصاله، قد تحرر هذا التلغراف لكي يعلن حال وصوله للعلماء والأمراء والمأمورين والأعيان وأهل المملكة جميعًا، وتباشر من بعده أمور الحكومة. وهذا من التوجيهات الوجيهة إلى أثر استحقاقكم لتجري التنظيمات والترقيات مبدأ ومقدمة، ويصير تكرير الدعاء بتوفيق الذات الجليلة الفخيمة السلطانية؛ ولذلك صارت المبادرة إلى إيقاء لازم التهنئة إلى حضرتكم أيها الخديوي المعظم، والأمر والفرمان في كل حال لمن له الأمر»[1].

منذ أن وصل هذا التلغراف إلى أبيه وهو يشعر بمشاعر مضطربة بين الفرح والحزن، كل ما كان يتمناه قد تحقق وكل الحزن سيواجهه الآن، لم يتسلمه هو، لكنه وصل إلى عابدين في ضحى ذلك اليوم، وتسلَّمه قبله زكي باشا السر تشريفاتي، الذي تركن حجرته بالطابق الأول من هذا القصر الفخيم، صدمه عنوان هذا التلغراف الذي قلب الأمور رأسًا على عقب، أصبح السيد مطرودًا والمحكوم سيدًا، لم يكُن وحده عندما تسلم هذا النبأ، كان بصحبة كبار رجال القصر، فهموا أنه يحوي شرًّا مستطيرًا، بدأ في القراءة؛ هنا وجفت القلوب، وعلا الاضطراب والاصفرار، امتنع عن حمله للخديوي، رفض كل الموجودين أن يحملوا ذلك العبء الثقيل، كُلٌّ يرمي الأمر على

(١) وثيقة تنصيب الخديوي «توفيق» حاكمًا لمصر وعزل الخديوي «إسماعيل».

صاحبه حتى حملها «شريف» باشا، رئيس النظار؛ فعندما تسلَّم الرسالة، وأدرك ما تحويها، صعد إلى مولاه ليسلِّم له هذه النكبة، ففضها وتلاها، علم فحواها، فقابلها بالصمت والجلد، على الرغم من قطرات الدموع التي كانت تتساقط منه غصبًا.

دخل عليه «توفيق» يجر ساقيه يمشي متثاقلًا، لا يعرف ماذا يفعل حيال الأمر، الأمر أكبر من أن يتصوره أو أن يمر عليه في حياته، لكنه فوجئ بأبيه يناديه:

- يا أفندينا.

هكذا ناداه والده المعزول، احترقت الدموع في عينيه، كان الأمر مؤلمًا جدًّا، لكنه ما لبث أن سلمه شاراته وخلع عليه سلطات الحكم، لا يعرف من أين أتته تلك القوة وهذا الجلد.

كان يعلم بقرب وصول هذا التلغراف اللعين، لكنه لم يتوقَّع أن يصل بهذه السرعة، فسابقًا كان يعلم أنهم يدبرون لعزله فاستعان بالأمريكان في جيشه حتى يمنع الأمر، حتى إنه خاف أن يصل خبرهم للسلطان العثماني فأرسل إلى الوفد الذي ذهب لمقابلة الباب العالي:

«قد يستوضحكم الصدر الأعظم أمر القواد والضباط الأمريكيين الذين ألحقتهم بخدمتي.. فلكم أن تطلعوه على الظروف التي عيَّنتهم فيها، على أن تلقوا في روعه أنكم تقصدون إليه بهذه البيانات من تلقاء أنفسكم، وأن ترجوا منه كتم سرها. وأنتم ملمون بهذه الظروف،

فتعلمون أنني لم أعقد العزم على تعيينهم إلا بعد أن أبلغني مسيو بوريه - بوساطة مسيو تريكو - نية جلالته العمل على عزلي، ولم أستجز كما تعلمون العبث بوعيدٍ خطَّه سفير فرنسا بيده»[١].

سراي عابدين

لا يعلم من أين علمت كل هذه الجموع المحتشدة بأنحاء ذلك السراي، الناس في حالة قيظ عظيم، الأمر يشبه العزاء، الصيحات تتعالى ألمًا وحزنًا، قد يكون البعض فَرِحًا لكن الأغلبية في حالة يُرثى لها، الحشود تثبت أنه محبوب، لكنه سلطان الزمان، ياللعجب، قاتل طول عمره لحفظ الكرسي لابنه؛ لكنه من دون أن يدرك أن استماتته هذه سوف تكون على جرِّ نعشه، جاءته الضربة من حيث لا يدري ولم يتوقع، لا يصدِّق أن ألمانيا هي التي أوقعته من على كرسيه الوثير.

الخيول والعربات تتزاحم، والبشر، كالسواد العظيم، الأعيان والوجهاء يظهرون الأسى والألم والجواري يولولن والحاشية في متاهة عظيمة لا يعلمون ما سوف يحل بهم، وكل طوائف الخدم والحشم والخصيان وكثير من نساء وجواري الخديوي المعزول يصحن ويولولن وهن يلطخن الوجوه ويشققن الجيوب ويستصرخن العامة وأبناء السبيل بما تنفطر لسماعه الأكباد وتذوب لهوله القلوب، والجند

(١) خطاب من الوفد المسافر إلى السلطان العثماني، من مقال منشور في مجلة ذاكرة مصر المعاصرة للباحث عبد الوهاب شاكر بعنوان «الضباط الأمريكان في الجيش المصري».

مصطفون على الجانبين صفوفًا مسلحة والبوق ينفخ نفخات الوداع والحزن والعامة يبكون، وطوائف الإفرنج بين شامت وآسف.

اليخت «محروسة»[1]

خرج الخديوي متكئًا على كتف ابنه الخديوي الجديد، وكأنه يصارع الألم، يتحدث في صمت: «ما زلتُ الأقوى، وسأظل»، لكن الركب قد بلغ محطته المنشودة، فترجَّل المعزول وأردفه الخديوي يودعه، التأثُّر جليٌّ على المعزول؛ فهو يدرك أنها آخر الأنفاس التي يستنشقها هنا في بلاده، فوقف يودِّعها ويودِّع الناظرين فتسارعت الكلمات تخرج من قلبه ونظر إلى فلذة كبده قائلًا:

«لقد اقتضت إرادة سلطاننا المعظم أن تكون، يا أعز البنين، خديوي مصر، فأوصيك بإخوتك وسائر الآل برًّا، واعلم أني مسافر وبودي لو

---

(١) تم بناء اليخت في عهد الخديوي «إسماعيل»؛ وذلك لاستخداماته الخاصة، وذلك بعد أن أهدى الخديوي اليخت الملكي «فايد جهاد» للسلطان العثماني عبد العزيز خان بمناسبة قدوم السلطان لمصر لتقديم التهنئة لتولي الخديوي «إسماعيل» عرش مصر. وقد بدأت شركة «SAMOUDA» بلندن بناء اليخت ببدن من الحديد في عام ١٨٦٣ ميلادية، وتم تدشينه في أبريل عام ١٨٦٥م، وسمي اليخت «محروسة». وكان في ذلك الوقت طوله ٤١١ قدمًا (١٢٥ مترًا) وعرضه ٤٢ قدمًا (١٢ مترًا) وحمولته ٣٤١٧ طنًّا. ويسير بالبخار مستخدمًا وقود الفحم. وكانت وسيلة الدفع عبارة عن بدالات جانبية (طارات). وكانت سرعة اليخت تبلغ ١٦ عقدة، وكانت له مدخنتان، وكان مسلحًا بثمانية مدافع من طراز «أرمسترونج». وسافر طاقم اليخت من المصريين لتسلمه والعودة به إلى الإسكندرية في أغسطس من عام ١٨٦٥م.

استطعت قبل ذلك أن أزيل بعض المصاعب التي أخاف أن توجب لك الارتباك، على أني واثق بحزمك وعزمك، فاتبع رأي ذوي شوراك، وكُن أسعد حالًا من أبيك»[1].

على يخته الذي بناه وأوغل في الإسراف فيه، كان يأمل أن يكون مصدرًا لبهجته لكنه تحوَّل إلى مصدر لنفيه، تحرَّك «المحروسة»، فأطلقت طابية كوم الناضورة والسفينة روبرت تحيةً له وكأنه تكريمُ نهايةِ عمره في هذا البلد.

انطلق اليخت وطار الحلم إلى إيطاليا، أقام بالقصر الذي أعده له صديقه الملك «أمبرتو»، ومنها ظل يجوب البلاد وشد الرحال للأستانة لعلَّه يحظى بقرب المحروسة، التي طالما تمنَّى الرجوع إليها، خاطب ابنه وأحفاده للرجوع، لكن من دون فائدة.

مات ابنه في حياته، الأمر أشبه بما حدث لجده، يموت الأبناء ويبقى الآباء في تعاسة، لا يستطيعون فعل شيء، مقيد هو بأغلال النفي، الخبر يصعقه، يحطم ما تبقى من مشاعره، أيامه أصبحت قاتمة، أمله الأخير وحلم حياته عودته إلى مصر، لكن الأمر أصبح بعيدًا، لا يطلب الآن سوى الدفن بين أراضي المحروسة، يريد أن يشم رائحة تراب مصر، حتى إن كان جثة هامدة.

---

(١) النص منشور في كتاب ميخائيل شاروبيم «رقيب على أحداث مصر».

مارس ١٨٩٥م

«يؤسفني إنباء سموكم أن ساعة الاحتضار قد أزفت».

هكذا كانت النهاية التي قرأها عباس حلمي الثاني في ذلك التلغراف اللعين الذي وصل إليه الآن من سفير بريطانيا بالباب العالي، كان في حيرة شديدة واضطراب أكثر بين الألم والحزن والخوف؛ هو الآخر يشعر بأنه سوف يخوض التجربة ويمتطي يخت «المحروسة»، كان عليه أن ينفِّذ وصية المعزول، وبدأ «الرفاعي» يستقبل الرفات العلي ويستعد لاستقبال رفات جديد ملكي.

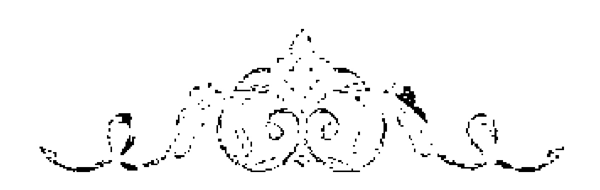
* * *



ضريح الخديوي إسماعيل - مسجد الرفاعي



إنفلونزا قاتلة



- هو محمد توفيق باشا ابن إسماعيل بن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا (أكبر أبناء الخديوي إسماعيل باشا).
- وُلد عام ١٨٥٢م، في عهده حدثت ثورة عرابي عام ١٨٨١م،
- وفي عهده، فَتحت مصر السودان خلال الفترة بين عامي ١٨٨٤ و١٨٨٥م.
- الوحيد من أسرة محمد علي الذي تولى رئاسة مجلس النظار مرتين (١٠ مارس ١٨٧٩ – ٧ أبريل ١٨٧٩م، و١٨ أغسطس ١٨٧٩ - ٢١ سبتمبر ١٨٧٩م).





الخديوي توفيق



«إن ذهابكم إلى كفر الدوار مستصحبًا العساكر، وإخلاء ثغر الإسكندرية من غير أن يصدر لكم أمر بذلك، وتوقيف حركة السكة الحديد، وقطع جميع المخابرات التلغرافية عنا، ومنع ورود البوستة إلينا، ومنع حضور المهاجرين إلى وطنهم بالإسكندرية، واستمراركم في التجهيزات الحربية، وارتكابكم عدم الحضور بطرفنا بعد صدور أمرنا بطلبكم.. ذلك كله يُوجب عزلكم؛ فقد عزلناكم من نظارة الجهادية والبحرية وأصدرنا أمرنا هذا لكم بما ذُكر ليكون معلومًا»[1].

(١) رسالة الخديوي «توفيق» إلى أحمد عرابي باشا، من كتاب «عرابي ورفاقه في جنة آدم.. دراسة وثائقية»، للدكتورة لطيفة سالم.

قصر حلوان

يناير ١٨٩٢م

درجة حرارته متقلِّبة لا اتزان لها، بين معدلها الطبيعي وبين الاربعين، عيناه ذابلتان، جسده مكفهر، سعال شديد، ألم يعتصر روحه عندما يتنفَّس، متكئ في سريره على ذراعي خادميه، ملامحه تميل للصفرة، لم يصلِّ الجمعة كعادته بمسجد حلوان، تداهمه الإنفلونزا، خرج ليستنشق الهواء فرجع بوعكة تزج به في سجن اللاحياة، لم تقابله هذه الانتكاسة منذ أن سمع بهذه الهوجة التي ترأَسها «عرابي»، لم يكُن ساعتها مصدقًا أن «عرابي»، الذي أفاض عليه بنعمته، يلوي ذراعه، لم يكُن مستوعبًا، خاطب نفسه لساعات متسائلًا: كيف يتجرَّأ هذا الجندي الذي أتى به رفاعة الطهطاوي وأدخله في طائفة الجندية، وأنعمتُ عليه بالنياشين، وحتى الرتب.. كيف يحاصر قصري بألفين وخمسمائة من الجنود؟! كيف استطاع أصلًا أن يجمع هؤلاء؟! وكيف انضمت هذه الحشود من الفلاحين له؟!

منذ هذه اللحظة وهو لا يستعين بأحدٍ من المصريين، صحيح أنه عفا عنهم وخفف عنهم عقوبة الإعدام ونفى «عرابي» وأصدقاءه، لكنه لم يعُد يستعين بهم، فسابقًا عزل «عرابي».

لم يكُن مصدقًا أن هناك صوتًا للشعب، يستطيع أن يتكلم، لم يُعِره الشعب أي اهتمام، وضربوا بقراره عرض البحر، هو من أوصلهم إلى هذه المرحلة، اجتمعت الجمعية العمومية، كان عددهم أربعمائة

ونيف، وقرروا أن يضربوا بقرارات هذا الحاكم عرض الحائط.

«بعد تلاوة الأوامر الصادرة من الخديوي أولًا وآخرًا، وفيها الأمر الصادر بعزل أحمد باشا عرابي وتلاوة منشورات عرابي باشا، وبعد سماعنا ما عرضه وكيل الجهادية بصفة هذه الوظيفة وكونه رئيس المجلس المشكل لإدارة أشغال الحكومة على المجلس، وهو: هل وجود الخديوي في الإسكندرية هو ونُظَّاره تحت محافظة عساكر الإنجليز يقتضي عدم تنفيذ أوامره أم لا، وإذا صدرت له أوامر من الخديوي هل يعمل بها أم لا، رأينا أن وجود العساكر في الإسكندرية والمراكب الإنجليزية في السواحل المصرية ووقوف عرابي باشا لمدافعة العدو يقتضي وجوب بقاء الباشا المشار إليه في نظارة الجهادية والبحرية مداومًا على قيادة العساكر، ومتبعًا في أوامره المتعلقة بالعسكرية وعدم انفصاله من تلك الوظيفة، ورأينا وجوب توقيف أوامر الخديوي وما يصدر من نظارة الموجودين معه في الإسكندرية كائنةً ما كانت لأي جهة من الجهات وعدم تنفيذها؛ حيث إن الخديوي خرج عن قواعد الشرع الشريف والقانون المنيف، ويلزم عرض قرارنا هذا على الأعتاب العالية الشاهانية بواسطة وكلاء النظارات».

هو لا يعترف أبدًا بالدستور، ولا يأبه بالدساتير؛ يريد أن يكون مطلق اليد، حاكمًا بمعنى الديكتاتور، لا يستمع إلى أحد، فقط «رياض» باشا، رئيس النظار، الذي طالما أعانه وأيَّده وحاول أن يجعله الحاكم والملك والسلطان الأوحد الذي لا تُرد له كلمة.

كان «الكونسلتو» الطبي، في قطاره المخصوص من المحروسة إلى حلوان، في حيرة كبيرة، لم يروا هذا الداء من قبل، كيف تفتك ضربة هواء وإنفلونزا صغيرة بهذا الأمير؟! لا بُدَّ أن هناك سببًا ما، لا بُدَّ أن تكون علَّته هذه من سبب آخر، الطبيب «كومانوس» والطبيب «هيس» يستغربان الأمر، هالهما تغيُّر وجهه الشديد، ملامحه التي توشك على الفناء..

بدآ في التشخيص، سألا الطبيب المرافق، أجابهما بأنه أعطاه جرعة من المورفين: «كانت آلامه شديدة، لم أتحمل الأمر».. أخذا يتشاوران؛ لا بُدَّ أن الكلى سوف تتدمَّر إن لم نقُم بحقنه بالكافيين، يشير أحدهما بالحجامة، لكن لا يستطيع، ألم شديد يعتصر أضعف نقطة في جسد الرجل، «البروستاتا» أعلنت حربها عليه وخيانته، لا يستطيع التحمل، فاضت روحه وصعدت إلى عتبات السماء.

لا يعلم طبيبه من أين أتى هذا اللورد «كرومر» بهذه الشائعات اللئيمة عن وفاة ولي نعمه وسيده؛ فقد أشاع عنه أنه مات لأفعاله الخبيثة مع النساء؛ فهو من رافقه في أيامه الأخيرة، لكن هذه هي الحياة، يموت خديوي ويأتي خديوي جديد، هذه هي المحروسة؛ فهي دائمًا ما تستعد لاستقبال الجديد وتوديع القديم.

الحزن يجتاح القصر، الكل في حزن وألم شديد، كل رجال الباشا يتجمعون في «عابدين» ينتظرون الجنازة، والأبناء والزوجة يزعجعهم وقع تلك الطلقات التي تدوِّي في البلاد، متقطعة لكنها مدوية، هذه

هي عادات الموت في الأسرة العلوية، البلاد من شرقها إلى غربها يضنيها سماع تلك الصيحات، ويالَها من صيحات!

يطير الخبرُ إلى الأمير «عباس» بـ«فيينا»، بلد السحر، الذي كان يدرس به العلوم التي حُرم الراقد مُفارق المنية الفرصة للدراسة بها مثل بقية الأمراء.

الإسكندرية بثغرها منكَّسة الأعلام، سفاراتها ومحلاتها التجارية مغلقة، وحتى البورصات والبنوك وكل دوائر الحكومة في سُبات، وكأن التاريخ توقَّف والحياة لن تستمر، يبدو للعيان أن المدينة حزينة، لكن تلك المدينة تكره هذا الميت، لا تنسى له تلك المذبحة التي أرشقهم بها وفعلها هو وحاميته وحلفاؤه، يتذكرون له تلك المحاكم المختلطة التي دمدم بها كاهل العبيد وعلا بها شأن قاطني تلك القارة العجوز أوروبا.

الكل مجتمع في سراي عابدين، الأمراء والنظار، وحتى الأجانب والقناصل، كلٌّ يترقَّب دوره كي يؤدي واجب العزاء، كلهم مندهشون من هذا الموت المفاجئ، لا يعرفون سوى المصالح، ومصالحهم هنا كانت قوية وعتيدة، الكل منتظر نعش الفقيد، وتعلن الجرائد الحداد:

«**فكنتَ لنشائهم أبًا ولكهلهم أخًا ولذي التقويس والكبرة ابنًا..**

فلتبكِ عليك البلاد يا توفيقها عدد إنعامك وعدلك.. ولتنتحب عليك قلوب إبنها بمقدار ما خزنت فيها من حبك وفضلك»[1].

---

(١) جريدة الأهرام، العدد الصادر ٨ يناير ١٨٩٢.

الجمعة

الساعة السابعة

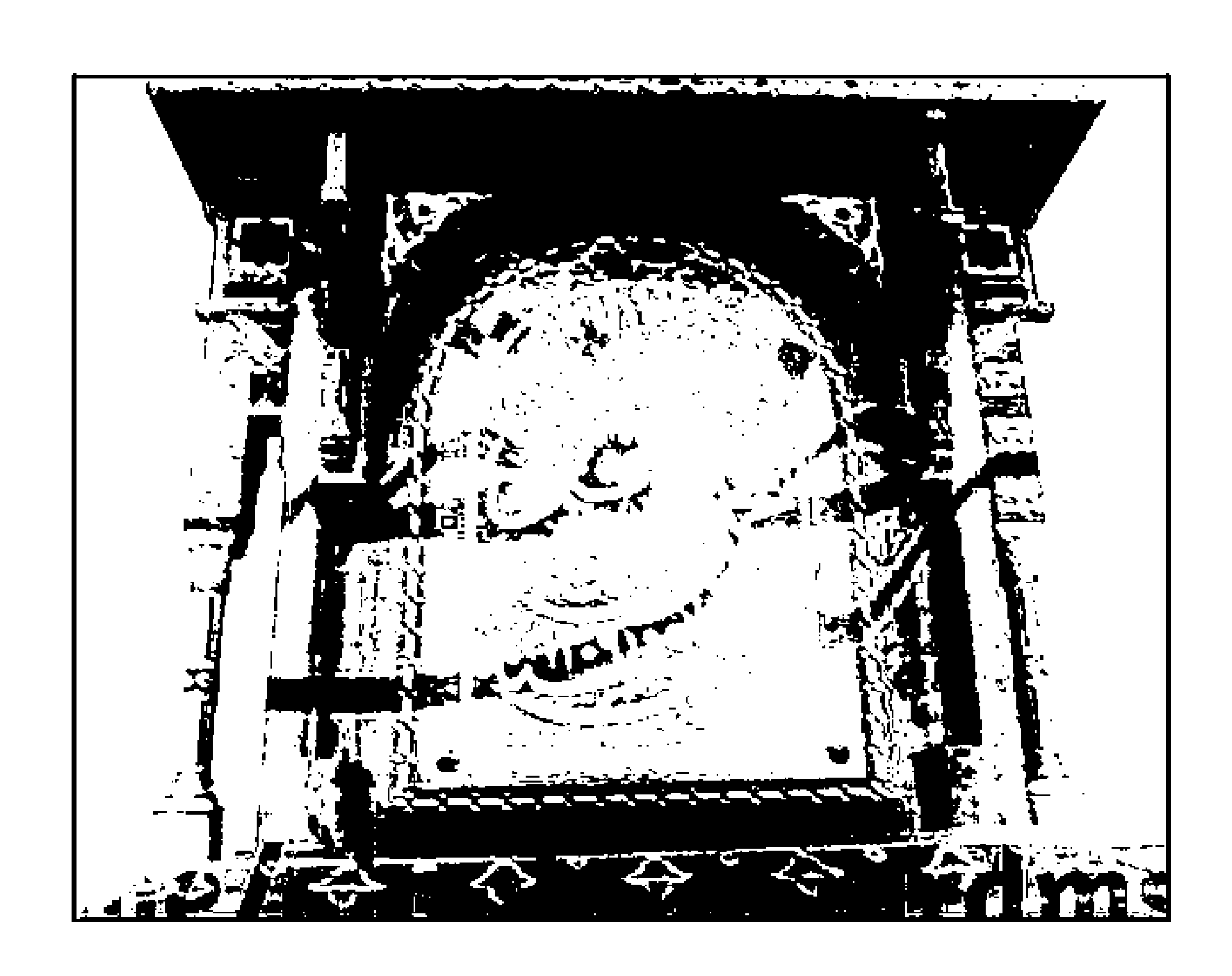
الأورطة المصرية وقوات الاحتلال في باب اللوق ينتظرون النعش القادم من حلوان، والمعزون يملؤون المكان، ليبدأ أحمد باشا مختار، ويرافقه «رياض» باشا، صديقه القديم، في مشهد الوداع، فيجتازون الشيخ ريحان ثُمَّ تنضم إليهم حشود سراي عابدين ويمرون بالحسين، فيصلون عليه ويكرمونه بالدفن بـ«العفيفي»، فتنطوي السكرة وتروح الفكرة وتطوي الأرض حاكمها وتُصك العملة باسم عباس الثاني، وتعلو المراسيم وتخطب المساجد ويحكم التاريخ على من حكم ليبقى مدونًا في التاريخ أن الخديوي توفيق ابن الخديوي إسماعيل قد مات وذهب عصره.

* * *



ضريح الخديوي محمد توفيق

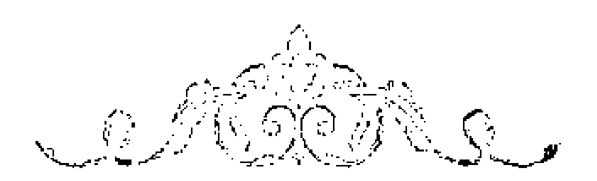




ضريح الخديوي محمد توفيق



وطني في المنفى



- هو عباس حلمي بن محمد توفيق باشا ابن إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا، وُلد عام ١٨٧٤م.
- بدأ احتجاج المصريين على سياسية بريطانيا في مصر في عهد عباس حلمي الثاني سنة ١٨٩٢م.
- كان «عباس» شابا طموحًا يحترم جده إسماعيل وعزم على وضع حد للتدخل البريطاني غير المشروع، معتمدًا على تأييد روسيا وفرنسا.
- حاول الخديوي الاتصال بالشعب واعتمد على المثقفين في نضاله بعد أن وجد أنّ السلطان نفسه كان عاجزًا عن مقاومة الدول الأوروبية والتخلُّص من نفوذها،
- انتهز الإنجليز نشوب الحرب العالمية الأولى، ففرضوا حمايتهم على مصر في ١٨ ديسمبر ١٩١٤م، وأنهوا السيادة العثمانية عليها.





عباس حلمي الثاني

«الله حي.. عباس جاي»



إسطنبول

مايو ١٩١٤م

يشعر باضطراب شديد، لا يعلم لماذا يراوده هذا الإحساس المقيت، منذ أن صعد يخت جده إسماعيل «المحروسة»، وتقلقه هذه الرحلة، هو يعلم أن هذا المحتل الخسيس لن يتركه ينعم برغد الحياة، منذ وصوله من فرنسا وهو يشعر بالاختناق، اقترب منه شاب يبدو عليه الارتياب، ملامحه تفضح مصريته، اقترب أكثر، أخرج مسدسين وبدأ يمطره بأعيرتهما، تناثرت الدماء من كل جسده، لكنه مثابر، قبض على يديه، احتمل ألمه الذي صاحبه من جرَّاء هذه الطلقات، التي كادت تودي بحياته، دفع هذا الشاب المسمى «محمود مظهر» بعيدًا بكل ما يملك من قوة، تفحَّص مكان مصحفه، تلهَّف على كيس نقوده، إنهما سالمان، أمسك قلمه ودوَّن في مذكراته:

«شعرتُ بانقباض صدر قبلها، وعندما رأيت الشاب يصوِّب المسدس إليَّ تمكنتُ من الإمساك بيده الممسكة بالمسدس ودفعه بعيدًا في الوقت الذي لم يتحرك فيه الحرس إلا متأخرًا، وأصابني بعض الرصاص، ولكن في مناطق غير مميتة، وتناثرت الدماء على ملابسي وكيس نقودي، لكنها لم تصل إلى المصحف الذي كنت أحمله، وهذا من لطف الله، وحتى لو وصلت إليه لما مس هذا من قداسته»[1].

---

(١) من مذكرات الخديوي عباس حلمي الثاني، التي صدرت في كتاب تحت عنوان «عهدي».

أَلمٌ شديد اعتصر الرجل، ليس أَلَمًا جسديًّا فقط، بل أَلمٌ نفسي، تساءل كثيرًا: ما الذي فعلتُه كي يحاول المصريون الانتقام مني بهذه البشاعة؟ ما الذي فعلتُه كي يتربَّص بي هؤلاء؟ ما الذي أفعله الآن؟ منذ أن وطئت قدماي هذه الأرض وليس همي في الحياة سوى طرد هذا المستعمر الغبي الغاشم.

هكذا هو دائمًا في حالة حرب وصراع، له باعٌ طويل في التناحُر مع الإنجليز، يكرههم ويكرهونه، اشتبك معهم في معارك كثيرة، خسر كثيرًا وانتصر كثيرًا، معارك خاضها بكل ما يملك من قوة، خاف على ضياع حقوق مصر.

حاول أن يهادنهم، استمال «جورست»[1]، لكن الأمر شديد القسوة، هم دائمًا يحاولون التقليل منه ومن سلطاته، يريدون أن يذلوه كما فعلوا كثيرًا، استطاعوا أن يُرضخوه لأوامرهم، أرغموه على أن يعترف بأن الجند الإنجليز هم خير جنود الأرض، «كرومر» هذا فعل به الكثير والكثير، يكرهه منذ آتى إلى أرض النيل، أما «كتشنر» هذا فهو ألد أعدائه، بل ألد أعداء المصريين، منذ أن زجَّ بالأهالي في السجون وهو يمقته بشدة، حاكم يحكم حاكمًا، البلاد في كرب عظيم، ها هو الآن يضحك وتنفلج أساريره، منذ أن أتته تلك الأخبار التي أخَّرت غريمه «عباس» عن الرجوع إلى مصر، أما «عباس» فيريد أن تلتئم جراحه، يريد أن ينعم ببعض الراحة، لكن هذا هو مصيره وهذه هي لعنته.

---

(١) ألدون جورست: هو المندوب السامي البريطاني في مصر وتولى المنصب بعد عزل اللورد كرومر.

١٩ ديسمبر ١٩١٤م

«يعلن وزير الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى أنه بالنظر لإقدام سمو عباس حلمي باشا، خديوي مصر السابق، على الانضمام لأعداء جلالة الملك، رأت حكومة جلالته خلعه من منصب الخديوي»[١].

لا يريد الاعتراف بالأمر، يحسب أن وراءه ظهرًا يحميه، هو الذي شجَّعه، جعله يتحدَّاهم، حاول كثيرًا استرضاء سلطانه العثماني؛ يحسبه حمايته ودرعه المتينة، لكن واأسفاه، لم يفعل له شيئًا، تركه يغنِّي وحده على ليلاه.

دخل عليه إسماعيل باشا صدقي، ظل يفاوضه بأن يترك الحكم من دون مشكلات، أرسلوه له، يعلمون أنه لن يترك الأمر بسهولة، فطالما حارب بغياهم؛ فهو كثيرًا ما يدحض مسعاهم، يعرف اللورد «كتشنر» أنه ليس لقمة سائغة، يعلم تمامًا أن له أتباعًا في كل أرجاء المحروسة، مصر، شمالها وجنوبها يشهدون له بالوطنية التامة، حتى إن مصطفى كامل كان له معينًا، أرسله سابقًا إلى فرنسا وإنجلترا حتى رفتوا «كرومر» من منصبه، حاول كثيرًا أن يبتعد عن مشكلاتهم، لكنه تأتيه المشكلات من حيث لا يدري. هؤلاء المحتلون أذاقوا شعبه ألوانًا من العذاب، شنقوهم في دنشواي[٢] وسجنوهم في الإسكندرية، منذ

(١) إعلان من الحكومة البريطانية بعزل الخديوي عباس حلمي الثاني.

(٢) حادثة دنشواي: هي قرية صغيرة في قرى الدلتا، في ١٣ يونيو سنة ١٩٠٦م وصل إلى القرية بعض الضباط الإنجليز ليصطادوا الحمام فأصابوا امرأة مصرية فهجم المصريون من الفلاحين على الضباط فجرحوا أحدهم، فقام الجنود البريطانيون

أن تسلّم مضمار الحكم واعتلى عرشه، وهو يحاربهم، طرد مصطفى باشا فهمي من عباءة النظارة، رآه مواليًا لهم، أراد أن يكسر ذراعهم فدمّروا عرشه، لا يجد من الأمر مفرًّا، انتهت حياته كحاكم لأرض الحضارات، فضّل أن يبتعد عن مضمار المشكلات، أخذ الثلاثين ألف جنيه من صدقي باشا وتنازل متعهِّدًا بعدم العودة.

١٩ ديسمبر ١٩٤٤م

الأريكة الخديوية راحت في مهب الرياح، حلّت محلّها السلطنة، دائمًا يعرف هو أخطاءه منذ أن فقد كرسيه، وهو يأتي بأطراف أخطائه، الخديعة دمرته والعثمانيون خذلوه، لِمَ لا؟ وهم يكرهون العلويين منذ أن أطاحهم ملهمه العظيم «إبراهيم» باشا، عمه الآن يقبع سلطانًا في البلاد، لم يكُن يحلم بالأمر، أتاه الحكم من السماء، الحرب العالمية تشتعل والدمار يحل بالعالم، والإنجليز مسيطرون على كل شيء في المحروسة.

يجتمع «تشرشل» بالإسكندرية بفندق «سيسل»، يريد تحديد مصير منطقة الشرق الأوسط، يستغرب بشدة من هتافات الشعب

بقتل أحد الفلاحين انتقامًا. وبعد أيام شُكِّلت محكمة وحُكم على أربعة من الفلاحين بالإعدام بصورة علنية.. أثارت أحكام دنشواي القاسية موجة من السخط بين المصريين وكشفت لهم عن حقيقة الاحتلال فازدادت مطالبهم وإصرارهم على الجلاء الفوري. وبعد أن فضحت القضية في أنحاء العالم إعلاميًّا وأدى ذلك إلى استقالة اللورد كرومر من منصبه سنة ١٩٠٧م وإصدار العفو عن سجناء دنشواي.

السكندري، الشعب بالكامل استفاق ووعى وعلم أن «عباس» كان وطنيًّا، الصيحات تعلو على الشاطئ، المصريون يهتفون:

«الله حي.. عباس جاي».

هذا اليوم أتعس أيامه، يوم نحسه، هو الآن جثة هامدة في منفاه الاختياري، سويسرا هذه بلد أحبه، عاش فيه ومات على أرضه، أوصى أن يوارَى جسده بالمحروسة فدُفن بقلبها، فيها ذاكرته وحياته، فيها إخفاقاته وانتصاراته، فيها حربه ضد المغتصبين، فطوت الرمال صفحته، وبقي خالدًا في التاريخ.



شاهد ضريح عباس حلمي الثاني



سلطان تحت الحماية البريطانية



- هو حسين كامل بن إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا.
- وُلد في ٢٠ ديسمبر ١٨٥٣م، وتُوفي في ٩ أكتوبر ١٩١٧م.
- نُصِّب سلطانًا على مصر بعدما عزل الإنجليز ابن أخيه الخديوي عباس حلمي الثاني، وأعلنوا مصر محمية بريطانية في عام ١٩١٤م، وذلك في بداية الحرب العالمية الأولى.
- تولى حسين كامل السلطة بقرار من وزارة الخارجية البريطانية في لندن، وليس بفرمان عثماني من الباب العالي في الأستانة.





السلطان حسين كامل



«يا صاحب السمو.. لدى حكومة جلالة الملك (ملك بريطانيا) أدلة وافرة على أن سمو عباس حلمي باشا، خديوي مصر السابق، قد انضم قطعيًّا إلى أعداء جلالته، وبذلك تسقط الحقوق التي كانت لسلطان تركيا وللخديوي السابق.. وبزوال السياسة العثمانية تزول أيضًا القيود التي فُرضت على عدد جيش سموكم وحقكم في الإنعام بالرتب والنياشين»[1].

(١) رسالة ملن شيتهام، القائم بأعمال المعتمد البريطاني في مصر، وبناء على تكليف من وزارة الخارجية البريطانية إلى السلطان حسين كامل.

قصر عابدين

١٨ ديسمبر ١٩١٤م

ركب عربته السلطانية، تدجَّجَ بخيالاتهم، خلعوا عليه رداء السلطنة، جعلوه يناطح الباب العالي، أفاضوا عليه بنعمةٍ لم يحلم بها، صار أحد أتباعهم، لا يبغي من الحياة سوى إرضائهم، وفي النهاية أصبح طوعًا لهم.

خاف على تاج عائلته، خاف أكثر أن يضيع الحكم من أسرته، هددوه بأنهم على استعداد لأن ينهوا مجد عائلته، هددوه بأنهم سوف يولون أي مسلم حتى لو كان هنديًّا، تفنَّنوا في تنفيذ المكيدة، وسموا ابن أخيه بالعار، وأضافوا أنه خائن للبلاد وللعباد وأنه مال للأعداء، فكانت فرصته وتولى سلطته.

الموسيقى تعلو نغماتها، تسير معهم في محاذاة، الخيَّالة الإنجليزية تسير أمام عربته السلطانية، كوبري قصر النيل مكتظ بمظاهر الأبهة والعظمة، الخيالة المصرية تسير خلفه، عربته محاطة بجيش جرَّار، يعلم أن الناس لن يتقبلوا حيلهم، خرج من قصر ابنه كمال الدين حسين، لا بُدَّ أنه خاف أن يخرج من قصره بمصر الجديدة، المسافة بعيدة والناس بين فرِح ومغتاظ ومترقِّب، لا بُدَّ أنه خاف على نفسه من فتك المصريين به، يعتبرونه حاكمًا من دون سلطة، نعتوه سابقًا بأنه صديق الفلاح، فكان لهم عونًا، أما الآن فسيكون عونًا عليهم.

«إن وزير خارجية جلالة ملك بريطانيا يعلن أنه نظرًا لحالة الحرب الناشئة عن عمل تركيا، فقد وُضعت مصر تحت حماية صاحب الجلالة، وسوف تصبح من الآن فصاعدًا تحت الحماية البريطانية، وبذلك انتهت سيادة تركيا على مصر، وسوف تتخذ حكومة جلالة الملك جميع الإجراءات الضرورية للدفاع عن مصر وحماية سكانها ومصالحها.. وعندما نشبت الحرب، عهد بحماية مصر إلى جيش الاحتلال البريطاني، بينما اضطلع الجيش المصري، متعاونًا مع الحامية البريطانية الصغيرة في الخرطوم، بمسؤولية الأمن في السودان، ولقد قام جنود السودان بمساعدة فعالة في أثناء الحرب، ووضعوا مخازن الجيش ومستشفياته وإدارات ذخائره تحت تصرف الحاميات المصرية»[1].

الإنجليز يسرعون بمراسم تتويجه بـ«عابدين»، بعد أن أعلن العثماني الحرب عليهم، فهم من أخذوا دُرَّة تاجه، لكنهم لم يستطيعوا فعل شيء، سحقهم الإنجليز في السويس، ميدان عابدين ممتلئ عن آخره بقرق الموسيقى والخيالة والحرس، المندوب السامي الجديد يستقبله أمام باب القصر، الأمراء في كل ركن من أركان القصر العتيق، التحيات تُتلى والمباركات تُغني عن كل ما سمعوه من خيانة الضباط في السويس، فقد حاولوا أن يمرروا طريقًا للأتراك بقناة السويس، لكن المدفعية الإنجليزية أبادتهم وهزمتهم.

«من ملك إنجلترا إلى السلطان حسين كامل..

في اليوم الذي ترتقي فيه عظمتكم السلطانية منصبها السامي،

---

(١) نص إعلان الحماية البريطانية على مصر.

أرغب أن أقدِّم إلى عظمتكم السلطانية عواطف الوداد المنبعثة عن أكمل إخلاص مع تأكيدي لكم أنني لا أنفك عن تأييدكم في المحافظة على مصر وضمان رفاهيتها في المستقبل وسعادتها، ولقد دُعيت عظمتكم السلطانية إلى تحمُّل مسؤولية منصبكم السامي إبَّان أزمة خطيرة في الحياة الأهلية بمصر، وإني على يقين أنه بمعاونة وزرائكم وبحماية بريطانيا العظمى يتسنَّى لكم التغلُّب على كل المؤثرات التي يُراد بها العبث باستقلال مصر وبرفاهية أهلها وسعادتهم».

جلس على كرسيه، ارتدى أنوطته ونياشينه البريطانية، أمر «رشدي» باشا بأن يشكِّل وزارته، فلم يتردَّد في الموافقة، نسي من أولاه دفة النظارة، الكرسي هذا شيء غريب وجذاب يتقاتل عليه الجميع، هو دائمًا محل إجابة.

«مولاي.. أقدِّم لسدة عظمتكم السلطانية مزيد الشكر على ما أوليتموني من الشرف السامي؛ إذ تفضلتم عليَّ بأمركم الكريم الذي فوضتم به إليَّ تأليف هيئة الوزارة، نعم إنني كنت وكيلًا عن ولي الأمر السابق، لكنني مصريٌّ قبل كل شيء، وبصفتي مصريًّا قد رأيت من المفروض عليَّ أن أجتهد تحت رعايتكم السلطانية أن أكون نافعًا لبلادي، فتغلبَتْ مصلحة الوطن السامية، التي كانت رائدي في كل أعمالي، على جميع ما عداها من الاعتبارات الشخصية؛ لهذا فإني أقبل المهمة التي تفضَّلت عظمتكم السلطانية بتفويضها إليَّ، ولمَّا كان زملائي بالأمس، الموجودون الآن بمصر، متشربين بنفس هذه العواطف، وهم لذلك مستعدون للاستمرار على معاونتهم لي، فإنني أتشرَّف بأن أعرض على تصديق عظمتكم السلطانية رفق هذا مشروع المرسوم

السلطاني بتشكيل هيئة الوزارة الجديدة، وإنني بكل احترام وإجلال لعظمتكم السلطانية العبد الخاضع المطيع المخلص»[1].

غيَّر السلطان الجديد كل الألقاب والرتب، حتى إنه أمرهم بإلغاء منصب قاضي القضاة، الذي وقف ابن أخيه سابقا أمام «كرومر» ليستمر عثمانيًّا، لكن ليس له مكان الآن في مصر، في سلطنة، في مقام السلطنة العثمانية، لكن الشعب لم يقتنع بأفعالهم، كل جوارحهم تكره هذا المحتل، أصبح في نظرهم محتلًّا جديدًا، أذاقوا وزراءه ألوانًا من العذاب، قتلوهم وأعلنوا الحرب عليه، حتى إن أدهم[2] الشرقاوي سرق قصره.

---

(١) خطاب حسين رشدي باشا بقبول تشكيل وزارة جديدة في ١٩ ديسمبر ١٩١٤م.

(٢) أدهم الشرقاوي واحد من الأشقياء، جسدته الدراما في كثير من الأعمال الفنية وتغنَّى به المطربون؛ حيث استعرض الفنان محمد رشدي في الإذاعة سنة ١٩٦٢م ملحمته قائلًا: «الاسم أدهم لكن النقب شرقاوي». هو مدوَّن في التاريخ الشعبي على أنه بطل تصدى للإنجليز، واسمه كاملًا هو أدهم عبد الحليم عبد الرحمن الشرقاوي، وشهرته «أدهم الشرقاوي»، وُلد عام ١٨٩٨م في إيتاي البارود في البحيرة، بينما أرجع البعض نسبه لمحافظة الشرقية، وبدأت أسطورته وهو في سن التاسعة عشرة عندما ارتكب حادثة قتل، وكان عمه عبد المجيد بك الشرقاوي، عمدة زبيدة، أحد شهود الإثبات فيها؛ حيث شهد ضد ابن أخيه، وفي أثناء محاكمته سمع «أدهم» أحد الشهود يشهد ضده فهجم على أحد الحراس بقصد نزع سنجته ليطعن بها الشاهد وحكمت المحكمة عليه بالسجن سبع سنوات مع الأشغال الشاقة فأرسل إلى ليمان طرة. وفي الليمان ارتكب جريمة قتل أخرى؛ حيث التقى عبد الرؤوف عيد، قاتل عمه «محمود»، وقد قُبض عليه في جريمة أخرى، فضربه على رأسه بالآلة التي يقطعون بها حجارة الجبل، وهكذا حُكِم على «أدهم» بالأشغال الشاقة المؤبدة. وعلى الرغم من ارتكابه الجرائم الجنائية، لكن أدهم الشرقاري كان جزءًا أصيلًا من ثورة ١٩١٩م؛ حيث استغل حالة الفوضى والاضطراب وهرب من السجن مع عدد كبير من السجناء.. وهنا تُنسب إليه بطولات خارقة ومواقف وطنية، فيقال إنه تحدى المأمور الإنجليزي «باكيت» وقاد تمردًا وسط السجناء. حيث قال لهم جملته الشهيرة: «انتم محبوسين زي الفراخ وإخواتكم بره بيتضربوا بالرشاشات»، في إشارة إلى ثورة ١٩١٩م.

حاول أن يُلقي كلمة بكلية الحقوق، حاول أن يتقرَّب للمصريين، لكنهم نهروه، لم يأتِ الطلبة، كلية الحقوق العامرة أصبحت بلا رُوَّاد، نصف الطلبة لم يتقبلوا الأمر، بدأ يسقط في أعين شعبه ومثقفي دولته، حاول أن يصبح حاكمًا فأصبح محكومًا، محكومًا عليه بالنفي على كرسي سلطته.

قصر عابدين

١٩ أكتوبر ١٩١٧م

الإنجليز يسخرون منه في كل شيء، أعثرته اللعنة العلوية، أصابه المرض، هزال شديد يعترضه، لا يستطيع التفكير، أتوا له بطبيب للأمراض العقلية، طرده وارتجَّت جدران القصر من غضبه، الشعب يريده أن يذهب في رحلته إلى مسجد الرفاعي، دار الحياة الأبدية، حاولوا قتله، هذا التاجر محمد خليل لم يندم على فعلته، حاول قتله فأطلق النار على عربته السلطانية بـ«عابدين»، طلبوا منه أن يطلب العفو، لكنه لم يفعل، فأعدموه، يموت ويأتي غيره، وكأنَّ الشعب متلهِّف لهذه الزيارة التي قام بها إلى «الرفاعي»، فيعلن الملك البريطاني الحداد وتصدر دار الحماية البريطانية نعيًا للسلطان «حسين»، وعليه تكتسي الدولة بلون الحداد لمدة سبعة أيام، حتى يُنظر في أمر الحاكم الجديد الذي تبرَّأ من الحكم، الأمير كمال الدين حسين، وتنازل عن العرش الذي آل إلى عمه صاحب العظمة، السلطان فؤاد الأول.

* * *

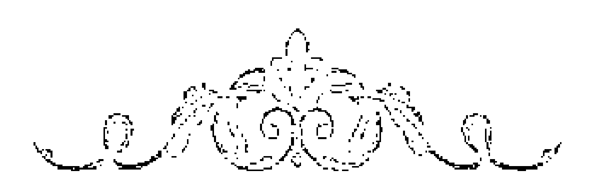


ضريح السلطان حسين - مسجد الرفاعي





عاش الملك.. مات الملك



- وُلد في ٢٦ مارس ١٨٦٨م بالجيزة، وتُوفي في ٢٨ أبريل ١٩٣٦م بالقاهرة.
- تولى أحمد فؤاد السلطنة بعد تنازل الأمير كمال الدين حسين (بعد وفاة أبيه حسين كامل الأول) عن حقه في تولي الحكم.
- لُقب بـ«سلطان» خلال الفترة من ٩ أكتوبر ١٩١٧ إلى ١٥ مارس ١٩٢٢م، ثم «ملك» خلال الفترة من ١٥ مارس ١٩٢٢ إلى ٢٨ أبريل ١٩٣٦م، وبذلك تكون فترة حكمه قد امتدت طول الفترة من ٩ أكتوبر ١٩١٧ إلى ٢٨ أبريل ١٩٣٦م.
- تزوَّج الأميرة «شويكار»، وأنجب منها «فوقية»، و«إسماعيل»، الذي تُوفي صغيرًا، وانتهى هذا الزواج بالطلاق.
- كانت زيجته الثانية في ٢٤ مايو ١٩١٩م من «نازلي»، ابنة عبد الرحيم صبري، وزير الزراعة في ذلك الوقت.. وأنجب منها «فاروق» و«فايزة» و«فايقة» و«فتحية».
- تعرَّض لمحاولة اغتيال عام ١٨٩٨م على يد الأمير أحمد سيف الدين، شقيق زوجته الأولى «شويكار».
- اهتم بحفظ وثائق مصر الحديثة، التي أصبحت ركيزة الأرشيف القومي فيما بعد.
- أثمرت ثورة ١٩١٩م عن اضطرار بريطانيا إلى إلغاء الحماية البريطانية على مصر وإعلان استقلالها من خلال تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م.
- انتهز السلطان أحمد فؤاد تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م وأعلن في ١٥ مارس ١٩٢٢م استقلال مصر، ونصب نفسه ملكًا على البلاد.





صاحب الجلالة فؤاد الأول
ملك مصر

HIS MAJESTY FOUAD I
King of Egypt

«لا أريد الموت»



قصر القبة

٢٨ أبريل ١٩٣٦م

خسر جزءًا كبيرًا من وزنه، كثرت الشامات على جلده، وازدحمت الهالات تحت عينيه، حالته النفسية سيئة إلى أبعد حد، يداه مرتعشتان لا يستطيع حتى أن يوقِّع وصيته، تلك التي ورَّثت «الفاروق» كل شيء، حارب جسده صغيرًا فهزمه كبيرًا، عاش الشباب صاخبًا، تعثراته المالية أكثر من متكررة، يصيح بالإيطالية: «**لا أريد الموت**»؛ فهي ثقافته الغالبة، تلك البلاد التي عاش فيها مع والده المعزول «إسماعيل» في منفاه.

هو أصغر أبناء «إسماعيل»، لكنه أكثرهم طموحًا، حاول أن يصبح ملكًا على ألبانيا، طلب من صديق أبيه أن يساعده ليحكم، لكنها أمنيات الصبي، كان شابًّا عابثًا، عاش حياته وشبابه صاخبًا، حتى إن مشكلاته القديمة مع زوجته الأولى «شويكار» ما زال يتردد وقعها في كل مكان، ما زالت تبعات عبثه ظاهرة على وجهه، الطلقة التي أصابه بها صهره محفورة على حنجرته، أصابته فأصبح صوته أجشَّ، كان يتحدث ساعتها مع «أباني»، وفجأة انفتح الباب على مصراعيه، جحظت الأعين تجاه هذا الأمير سيف الدين..

التقت نظراته نظرات «فؤاد»، أطلق عليه النار، لم يكتفِ بالواحدة، بل غمره بعدَّة طلقات، تركته مُلقى على الأرض، وكأنه مات، الدماء تسيل على الأرض وتنهمر، والأعين ترقب الأمر من دون حراك،

كاد يموت، كاد لا يكتب في سجلات الحكام.

الآن يعترك الحياة، على جرف الهاوية يعيش، حالته النفسية في حرب مستمرة مع جسده البالي، ضيقة متقدة، اعتلَّت صحته أكثر منذ أن صارحته «نازلي» هانم بطلبها الطلاق، حسبته خانها مع إحدى وصيفات القصر، كانت ناقمة عليه وعلى أفعاله، كان يعاملها بتعالٍ شديد، لم يتمالك نفسه قط، عرشه الآن في اضطراب، وولي عهده في مهبِّ الريح، غريمه الأمير محمد علي توفيق يريد أن يستأثر بالحكم، استند إلى الإنجليز ليسحب بساط المملكة من تحت قدمَي وريثه، لكنه ليس بهذه السهولة، كم كان فطنًا وذكيًّا!

تقلَّد تاجه في فترة عصيبة، كان تتويجه نبوءة؛ فعندما أثقلت عليه الحياة، وتكاثرت عليه الديون، دخل عليه خادمه «إدريس»، هذا الخادم الذي نهض من نومه فرحًا ومهللًا ومبتسمًا، وهرع ليقص حلمه على مولاه الأمير، أخبره بأن مكانه القريب هو اعتلاء عرش مصر، وأنه سوف يصبح ملكًا، هنا توقف «فؤاد» لبرهة، واعتلت وجهه نظرة دهشة، لكنه سرعان ما رد على خادمه بابتسامة ساذجة، بعدما جالت بذهنه صورة السلطان المريض في مصر، وتذكَّر أن للسلطان وريثًا، هو أخوه الأكبر كمال الدين، كما أنه يوجد في أسرة محمد علي مَن هو أولى منه بالعرش، كما أنه عاجز عن حكم بلد لا يعرف فيه أي شيء حتى إنه لا يستطيع النطق بلغته، وأيقن أن ما رآه الخادم ليس سوى أضغاث أحلام بعيدة المنال، لكن الأحلام تحققت وأصبح سلطانًا ثُمَّ ملكًا.

انتقل ساعتها من عالم الحرية إلى عالم القيود والحواجز، وما أقسى قيود الملك إذا حكم في مملكة معلَّقة النصيب في ميزان القدر، محتلة من الإنجليز، ومتحفِّزٍ له شعب ملتهب بأماني الحرية والاستقلال.. تتصادم فيها أحزاب الاحتلال وأحزاب الاستقلال وحتى أحزاب الاعتدال، معركة ضروس لا تزال آثارها ترج التيجان رجًّا وتهدم الأساطير وتهدم النظم الحكومية هدمًا، هو السلطان الذي أعلن نفسه ملكًا.

«دار الحماية..

القاهرة في ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢م..

يا صاحب العظمة..

١ – أتشرَّف بأن أعرض لمقام عظمتكم أن الناس قد ذهبوا، في تأويل بعض عبارات المذكرة التفسيرية التي قدمتها إلى عظمتكم في الثالث من شهر ديسمبر، مذاهب تخالف أفكار الحكومة البريطانية وسياستها، وهو ما آسف له أشد الأسف.

٢ – ولقد يخال المرء مما نُشر عن هذه المذكرة من التعليمات الكثيرة أن كثيرًا من المصريين ألقي في روعهم أن بريطانيا العظمى توشك أن ترجع في نواياها القائمة على التسامح والعطف على الأماني المصرية، وأنها تنوي الانتفاع بمركزها الخاص بمصر لاستبقاء نظام سياسي إداري لا يتفق والحريات التي وعدت بها.

٣- غير أنه ليس شيء أبعد عن خاطر الحكومة البريطانية من هذه الفكرة، بل إن الأساس الذي بُنيت عليه المذكرة التفسيرية هو أن الغاية من الضمانات التي تطلبها بريطانيا العظمى ليست إبقاء الحماية حقيقية أو حكماً. وقد نصَّت المذكرة على أن بريطانيا العظمى صادقة الرغبة في أن ترى مصر متمتعة بما تتمتع به البلاد المستقلة من ميزات أهلية ومن مركز دِوَل.

٤- وإذا كان المصريون قد رأوا في هذه الضمانات أنها تجاوزت الحد الذي يلتئم مع حالة البلاد الحرة، فقد غاب عنهم أن إنجلترا إنما ألجأها إلى ذلك حرصها على سلامة نفسها تلقاء حالة تتطلب منها أشد الحذر، خصوصًا فيما يتعلق بتوزيع العسكرية، على أن الأحوال التي يمر بها العالم الآن لن تدوم، ولا يلبث كذلك أن يزول الاضطراب السائد في مصر منذ الهدنة، والأمل وطيد في أن الأحوال العالمية سائرة إلى التحسُّن، هذا من جانب، ومن جانب آخر، فكما قيل في المذكرة سيجيء وقتٌ تكون فيه حالة مصر مدعاة للثقة بما تقدمه هي من ضمانات مصرية لصيانة المصالح الأجنبية.

أما أن تكون إنجلترا راغبةً في التدخل في إدارة مصر الداخلية، فذلك ما قالت فيه الحكومة البريطانية، ولا تزال تقول، إن أصدق رغباتها وأخلصها هي أن تترك للمصريين إدارة شؤونهم»[1].

انحاز إلى المطالب المصرية، حاول أن يبعد مملكته عن تلك التقاليد

(١) من اللورد اللنبي إلى الملك أحمد فؤاد.

العثمانية التي عاناها المصريون، منع ابنه من تعلُّم اللغة التركية، رفض تسمية أبنائه أسماء غير عربية، استبشر بحرف الفاء، جعل كل أسماء أبنائه تبدأ بهذا الحرف، وأوصى عائلته وزوجاته بأن عليهم أن يأخذوا الأمر على نحو الجد، منذ أن دخل هذا البكتاشي وأخبره بأن زوال عرش جده الأكبر محمد علي متوقِّف على هذا الحرف، وإذا أخلَّ أحد به سوف تأتيه اللعنة وتنتهي أسطورته الملكية، دجل لكنه أصاب كبد الحقيقة.

ساعد في جلاء الإنجليز عن دولته، لم يكُن لقمة سائغة، لم يكُن من هؤلاء الذين تحكَّم فيهم الإنجليز، حاول بكل الطرق استعادة مصر حقوقها، حاول بعث مصر الثقافية، المثقفون يرونه أكبر الحكام بعد الباشا محمد علي، طوَّر الجامعة وسُمِّيت على اسمه، أعاد مجد الدفترخانة (دار المحفوظات العمومية)[1]، جمع كل أوراق أسرته

---

(١) تُعد دار المحفوظات العمومية حاليًا من أهم وأغنى أوعية الوثائق بمصر إن لم تكُن أهمها وأغناها علي الإطلاق؛ فهي تحتوي على كم هائل من الوثائق والملفات، التي تتنوَّع وتختلف لتغطي جميع أنشطة الكيان الرسمي للدولة، ويقدِّر البعض محتويات الدار بما يقارب ثلاثة مليارات ورقة، وهي بذلك تعتبر من أهم مصادر البيانات والمعلومات لكل فئات المجتمع، سواء للمواطن العادي أو للباحثين أو حتى لبعض الجهات الرسمية بالدولة، وهي أيضًا تحوي كمًّا هائلًا من الوثائق التاريخية؛ ففيها محفوظات وزارة الداخلية، التي تضم دفاتر عتق الرقيق ودفاتر قيد العربان، وسجلات أحوال العمد والمشايخ وغيرها؛ وفيها أيضًا دفاتر مكلفات الأطيان وكل ما يخص الأراضي الزراعية والعقارات، وما طرأ عليها من تغيُّرات، منذ أن كان الفلاح المصري مكلفًا وليس مخيرًا في زراعة أرضه، ولعل من أهم المجموعات المحفوظة بالدار هي ملفات خدمة الموظفين، وتقدر بحوالي ٩٠ ألف ملف، وتتباين أهميتها حسب أهمية الشخص صاحب

وكل مخاطباتهم، تقرَّب كثيرًا إلى العلماء والمثقفين، وحرم الأمراء من توغلهم في الرتب، حتى إنهم اغتاظوا منه وضاعفوا في عدم الرضا عنه.

قصر عابدين

٣٠ أبريل ١٩٣٦م

يتصبَّب عرقًا، آلامه واضحة، تُسحب منه الحياة ببطء، يحاول مقاومة ملك الموت، تشبَّث بقلمه، وقَّع آخر أوراقه، تنهد علي باشا ماهر الصعداء وصاح: «عاش الملك.. مات الملك»، صوته يرجُّ جدران القصر، يعلن عن وفاة حاكم عظيم، كان يخاف الموت، لكن الموت ليس بإرادة ملك، بل بيد مالك الملكوت، جسده الفاني يُنقل إلى قصر عابدين، مراسم الدفن تبدأ.

الحشود مكتظة على جانبي الجنازة، قوات الجيش المصري تملأ المكان، شارات الحداد معلقة على ملابسهم الرسمية، النعش يحمل جثمان الفقيد في شوارع القاهرة، في مسيرة عسكرية حزينة، المحروسة

الملف، وتعد تلك الملفات من أهم وثائق الدار؛ حيث يتضمن كل ملف تاريخ حياة الموظف صاحب الملف وكل ما يتعلق بالوظائف التي شغلها خلال حياته وما رُبط له أو لورثته من بعده من معاش، ونجد من بين تلك الملفات ملف خدمة «الإمام محمد عبده، سعد زغلول، طلعت حرب، مصطفى النحاس، الدكتور طه حسين، مكرم عبيد، نبوية موسى، السير إلدون جورست، المسيو ماسبيرو»، وغيرهم الكثير والكثير.

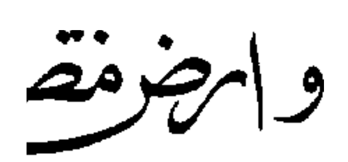
كلها متجمعة، العلم المصري يزيِّن النعش، هنا لا توجد نياشين، كل الأبهة والعظمة ولَّى زمانها، هنا مثواه الأخير، النساء ينظرن من شرفات المنازل، الحكماء والعلماء والمشايخ والمثقفون يمشون في المسيرة الأخيرة مع الملك فؤاد، يحتضن مسجد الرفاعي جثمان السلطان الأخير، يرقد بجانب سلالته وأبناء جنسه وأسلافه.

بور فؤاد

أول فبراير ١٩٥٢م

أراد «فاروق» أن يكرم والده، صنع له تمثالًا عزم على وضعه بمدينته التي أنشأها، «بور فؤاد»، تلك المدينة التي سُميت على اسمه وافتتحها في احتفال مهيب، الصحف تعلن أن «فاروق»، آخر الملوك، سوف يمتطي يخته الملكي «فخر البحار» ويزيل الستار عن مجسم لأحد أهم ملوك الأسرة العلوية، لكن الظروف لم تسعفه، عاجلته الثورة وأبعدته الاضطرابات العمالية في ميناء بورسعيد، لم يكُن الفدائيون في قناة السويس ليسمحوا بهذا الأمر، إنهم في معركة شرسة مع الإنجليز، حريق القاهرة يؤجِّل الأمر وكأنه مكتوب عليه: ليس لك مكان هنا.

* * *



ضريح الملك فؤاد



الفاروق.. الملك الأخير



- هو فاروق بن أحمد فؤاد بن إسماعيل باشا ابن إبراهيم بن محمد علي باشا.
- وُلد في ١٢ فبراير ١٩٢٠م، وتُوفي في بريطانيا في ١٨ مارس ١٩٦٥م، ودُفن بالقرب من مسجد الرفاعي في ٣٠ مارس ١٩٦٥م.
- عند وفاة الملك أحمد فؤاد، كان ابنه فاروق (وليّ العهد) في بريطانيا.. واضطر فاروق للعودة سريعًا إلى مصر بالباخرة ووصل إلى الإسكندرية في ٦ مايو ١٩٣٦م، وخلال هذه الفترة تولّى مجلس الوزراء سلطات الملك الدستورية بمقتضى المادة ٥٥ من الدستور لحين وصول «فاروق»، وليّ العهد، إلى مصر.
- خلال الفترة من ٨/ ٥/ ١٩٣٦ إلى ٢٩/ ٧/ ١٩٣٧م، تولى سلطات الملك الدستورية مجلس وصاية على الملك فاروق طبقًا للدستور الذي حدد ١٨ عامًا كأقل سن لمن يتولّى الحكم.. وكان الملك دون السن الدستورية.
- في ٢٩/ ٧/ ١٩٣٧م، تسلّم الملك فاروق سلطاته الدستورية ببلوغه ١٨ عامًا هجرية وليست ميلادية.
- في عهده، وُقّعت معاهدة ١٩٣٦م (المعاهدة المصرية - البريطانية في ٢٦ أغسطس ١٩٣٦م)، التي أُلغيت في ٨ أكتوبر ١٩٥١م، وأعقبها حريق القاهرة في ٢٦ يناير ١٩٥٢م.
- بنجاح حركة الضباط الأحرار، صباح يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، في السيطرة على البلاد، أُجبر الملك فاروق على التنازُل عن العرش لابنه وولي عهده أحمد فؤاد الثاني في ٢٦ يوليو ١٩٥٢م.
- غادر الإسكندرية على ظهر «محروسة» في اليوم نفسه متوجهًا إلى إيطاليا.





الملك فاروق

«أريد أن أخرج بحرًا، وبواسطة يختي (المحروسة)، الذي ورثته عن جدي إسماعيل، وأريد أن أصطحب معي زوجتي وبناتي وابني، وأن تُجرَى لي كل مراسم التوديع التي تُقام عند مغادرة أي ملك للبلاد، وأن ترافقني مدمرتان في أثناء السفر لتأمين رحلتي».. ثُمَّ استطرد قائلًا: «صدِّقني يا علي باشا، إنهم سيطردونك بعد قليل من رئاسة الوزارة مثلما يطردونني الآن من عرشي».

طلب منهم أن يودِّع مصر في حلَّته الرسمية، ارتدى ملابسه العسكرية، حمل كل نياشينه وألقابه، بدلته البيضاء مرصعة بكل أنواطه العسكرية، قُرِئ البيان الخاص بتنازله عن العرش في الإذاعة المصرية، حاول لآخر مرة أن يستعطف شعبه، لم يتصور أن ساعة نهايته قد اقتربت، سوف يتحوَّل من حاكم إلى محكوم، كان يظن أنه المخلص الأول لبلده.

منذ أن قدَّم له اللواء محمد نجيب هذا الإنذار وهو لا يمتلك شيئًا من عقله، تحاصره كل أفعاله، تارةً هو يريد أن يصبح خليفةً للمسلمين، طلب ساعتها من الشيخ المراغي أن يتوِّجه يوم الجمعة بالأزهر الشريف، يحمل سيف جده الباشا الكبير، لكن «النحاس» أقنعه بالعزوف عن الأمر، وتارةً يريد أن يصبح قائدًا للعرب، نسي شعبه، تذكَّر فقط نفسه وحياته العابثة هذه.

قصر رأس التين

٢٦ يوليو ١٩٥٢م

الدبابات والمدافع والسيارات المصفَّحة تحاصر القصر، الميناء مغلق، القصر محاصرَ من كل حدب وصوب، النيران مشتعلة بين حراس رأس التين وبين الضباط الأحرار، الإسكندرية كلها محاصرة، لم يكُن الملك قادرًا على المقاومة، أرسل أحد حراسه بالراية البيضاء، أراد

أن يستسلم، ظنَّ أنه تبقَّى له من حب الشعب شيء، لكن الشعب قد سئم من أفعاله، حرب فلسطين وحريق القاهرة قد أزالا آخر ما يمكن أن يحمله الشعب من رأفة، القوات ما زالت تحاصر المكان، إما الاستسلام وإما الحصار.

هاتَفَ علي باشا ماهر، أخذ يهدِّئ من روعه، لكن من دون إفادة، ظنوها زوبعة في فنجان، لكن الأمر أصبح زوبعة تجوب أطراف المملكة من شمالها لجنوبها، اتصل بـ«جيفرسون»، ذاك السفير الأمريكي الذي كان يظنُّه آخر أوراقه، لكنه لم يكُن الرمق الأخير، أخبره بكل وضوح: «لا أضمن لك شيئًا سوى نفسك، أما عرشك فلا أستطيع».

اللواء محمد نجيب جاهز بإنذاره، لا بُدَّ أن يترك البلاد في الحال، بأي وسيلة يريدها، علي باشا ماهر مسؤول عن إيصال الرسالة الأخيرة إليه، الضباط الأحرار في الانتظار.

«من الفريق أركان حرب محمد نجيب، باسم ضباط الجيش ورجاله، إلى الملك فاروق الأول..

إنه نظرًا لما لاقته البلاد في العهد الأخير من فوضى شاملة عمَّت جميع المرافق نتيجة سوء تصرفكم وعبثكم بالدستور وامتهانكم لإرادة الشعب، حتى أصبح كل فرد من أفراده لا يطمئن على حياته أو ماله أو كرامته.. ولقد ساءت سمعة مصر بين شعوب العالم من تماديكم في هذا المسلك حتى أصبح الخونة والمرتشون يجدون في ظلكم الحماية والأمن والثراء الفاحش والإسراف الماجن على حساب الشعب الجائع

الفقير، ولقد تجلَّت آية ذلك في حرب فلسطين وما تبعها من فضائح الأسلحة الفاسدة وما ترتب عليها من محاكمات تعرضت لتدخلكم السافر، ما أفسد الحقائق وزعزع الثقة في العدالة وساعد الخونة على ترسُّم هذا الخطأ فأثرى من أثرى وفجر من فجر، وكيف لا والناس على دين ملوكهم؟!

لذلك، قد فوَّضني الجيش، الممثل لقوة الشعب، أن أطلب من جلالتكم التنازل عن العرش لسمو ولي عهدكم الأمير أحمد فؤاد، على أن يتم ذلك في موعد غايته الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم السبت الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢م الرابع من ذي القعدة سنة ١٣٧١هـ ومغادرة البلاد قبل الساعة السادسة من مساء اليوم نفسه.

والجيش يحمِّل جلالتكم كل ما يترتب على عدم النزول على رغبة الشعب من نتائج.

فريق أركان حرب محمد نجيب».

دخل عليه علي باشا ماهر يجر ساقيه، يمشي مضطربًا، لا يعرف كيف يبلغه هذه الأنباء، الكل في حالة ترقُّب، الملك فاروق يعي ويعلم أن العالم تغيرَّ، وأن عائلته الحاكمة مصيرها قد حان، هذا هو وقت الزوال، لم يكلِّفه شيئًا أكثر من الإحراج، قرأ عليه الرسالة، طلب منه أن يبلغه إن كان يريد السفر برًّا أو جوًّا، ردَّ عليه:

«أريد أن أخرج بحرًا، بواسطة يختي (المحروسة) الذي ورثته عن

جدي إسماعيل، وأريد أن أصطحب معي زوجتي وبناتي وابني وأن تُجرَى لي كل مراسم التوديع التي تُقام عند مغادرة أي ملك للبلاد، وأن ترافقني مدمرتان في أثناء السفر لتأمين رحلتي».. ثُمَّ استطرد قائلًا: «صدِّقني يا علي باشا، إنهم سيطردونك بعد قليل من رئاسة الوزارة مثلما يطردونني الآن من عرشي»[1].

أخرج من جيبه قلمه، وقَّع التنازل وأكَّد عليه، وقَّع التنازل مرتين، وكأنه يريد أن يزيح اضم من على صدره، وقع آخر أوامر الملكية:

«نحن فاروق الأول، ملك مصر والسودان..

لما كنا نتطلب الخير دائمًا لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها..

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة، ونزولًا على إرادة الشعب، قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا، رئيس مجلس الوزراء، للعمل بمقتضاه.

صدر بقصر رأس التين في ٤ ذي القعدة ١٣٧١هـ الموافق ٢٦ يوليو ١٩٥٢م».

يمشي الهوينى، متقلدًا ملابسه الرسمية، صعد على يخت جده «إسماعيل»، فهو من لاقى المصير نفسه، صعد على «المحروسة» بعد أن رفض أن يمكث في مصر ساعة جديدة.

---

(١) من مذكرات محمد نجيب.

«من القيادة العامة للقوات المسلحة إلى اللواء البحري جلال بك علوبة، قائد عام اليخوت الملكية، عليكم الإبحار باليخت الملكي محروسة، اليوم الساعة ١٨٠٠، لنقل حضرة جلالة الملك فاروق الأول إلى خارج البلاد بعد تنازله عن العرش، والعودة بهذا اليخت سليمًا إلى ميناء الإسكندرية مباشرة»[١].

الأميرالاي «علوبة»[٢] باشا ينتظره على ظهر «المحروسة»، خاطبه

---

(١) من مذكرات «علوبة» باشا، الذي كان قائد اليخت «محروسة».

(٢) عند قيام ثورة يوليو وتوقيع الملك «فاروق» على وثيقة التنازل عن عرش مصر لصالح ابنه الأمير أحمد فؤاد، كانت قد تحددت الساعة السادسة من يوم ٢٦ يوليو كموعد لمغادرة الملك «فاروق» إلى خارج البلاد على يخت «محروسة»، وقد طلب الملك شخصيًّا أن يقوم الأميرالاي جلال علوبة بقيادة اليخت، وذلك لثقته التامة به، هذا وقد وافقت القيادة الجديدة على هذا الطلب، لثقتها أيضًا بالأميرالاي جلال علوبة، وهذا ما أخبره به الفريق محمد نجيب حينما استدعاه ليبلغه بالأمر. تلقى الأميرالاي جلال علوبة الأمر الخاص بذلك، وطلب أن ترافق اليخت سفينتان حربيتان للحراسة وفقًا للتقاليد البحرية المعمول بها في حال سفر الملك في مهمة رسمية، خاصة أنه سيكون على اليخت الملك الجديد أحمد فؤاد الثاني. وقبل الموعد المحدد بنصف ساعة حضرت الملكة «ناريمان» ومعها الملك الصغير أحمد فؤاد والأميرات الثلاثة بنات الملك فاروق من الملكة السابقة «فريدة»، وبعد ذلك حضر الملك «فاروق» بعد أن أنهى مراسم الوداع الرسمية التي طلب أن تُتبع معه وفقًا للتقاليد والبروتوكول. وبدأت الرحلة الأخيرة بين الملك «فاروق» والأميرالاي جلال علوبة، قائد اليخوت الملكية وياور جلالة الملك، بدأت تسطر سطورها الأخيرة. وفي أثناء تلك الرحلة من مصر إلى المنفى، حاول الملك «فاروق» أن يقنع الأميرالاي جلال علوبة بالبقاء معه في منفاه، إلا أنه اعتذر للملك عن هذا الأمر لإحساسه بالمسؤولية تجاه وطنه، بالإضافة إلى التزامه تجاه أسرته التي كانت لا تزال بالإسكندرية، وقد كان الملك «فاروق» مخلصًا في عرضه لدرجة أنه عرض عليه في حال موافقته على البقاء معه أنه سيمنحه مليون جنيه، إلا أن هذا العرض لم يكن له أي تأثير على قرار ذلك الرجل الذي كان يقدر حجم المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه وطنه وتجاه القيادة الجديدة التي وثقت به من البداية.

من ساعات، يعلم أن الجيش والشعب قد ثارا عليه، صعد بابنه وبناته وزوجته، نظر بعمق إلى شواطئ الإسكندرية، يدقّق في كل تفصيلة من تفاصيل المكان، يستنشق آخر نسماته بمصر، مصر التي عشقها، وأحب شعبها وأحبوه، هذا الشعب الذي استبشر به، أقام له احتفالًا مهيبًا عندما رجع من إنجلترا، مراسم تتويجه كانت أسطورية، لم تلمسها حتى كتب الأعاجيب، سار «المحروسة» في مياه الأزرق، أبحر حتى لاحت «نابولي» في الأفق، أخذ «علوبة» وضباطه يطلقون طلقات الترحيب، لم يكُن هناك من إجابة تليق بملك، كانوا ينتظرون الحفاوة التي أفاض بها «فاروق» سابقًا على حاكمهم، لكن هذه الحياة صعود وهبوط وأيام ترفع وأيام تذل.

تعلَّم هذا المخلوع من سابقة خلعه؛ فقبل ميعاده الآن بعشر سنوات أوشك عرشه على الانتهاء، كادت تنتهي حياته وعرشه، حاصره الإنجليز بمدافعهم وأجبروه على إقامة «النحاس» باشا رئيسًا للوزراء، ساعتها خرجت المظاهرات المصرية تهتف: «**تقدم يا رومل**»، بعد أن حقق انتصارات كاسحة على قوات الحلفاء في محور شمال أفريقيا واقترب من حدود مصر العربية.

كان أملهم التخلُّص من الاحتلال البريطاني، ارتعب الإنجليز من الأمر، اجتمعوا بحضور السفير البريطاني وقائد قواتهم، أصدروا قرارات، أجبروا «فاروق» على استدعاء «النحاس» باشا وتكليفه بالوزارة، كانوا يظنون أنه شخصية ضعيفة وسوف يهادنهم، لكنهم

للأسف لم يعلموا أنه أصبح ألد أعدائهم، كان خيارهم بدلًا من علي باشا ماهر، فالشعب ساعتها كان في إضراب، أرادوا أن يقيلوا حسين رشدي ويستبدلوا به علي ماهر، لكن الإنجليز أرادوا «النحاس»، رضخ لهم «فاروق»؛ فعرشه كان قد بدأ في التهاوي، لكنه انكسر نفسيًّا، أحس أنه ضعيف محاصَر، لا يقوى على شيء، هذه الحالة دائمًا ما كان يشعر بها، منذ نعومة أظافره ووالده فؤاد يقسو عليه، يحاصره داخل قصره، المحظيات والخادمات كان لهن الحكم الأول والأخير عليه.

وثيقة التنازل بيد السير «مايلز لمبسون»، وكأن لعنة التنازل تصاحبه حتى في آخر أوقاته:

«نحن فاروق الأول، ملك مصر، تقديرًا منا لمصالح بلدنا، فإننا هنا نتنازل عن العرش ونتخلى عن أي حق فيه لأنفسنا ولذريتنا، ونتنازل عن كل الحقوق والامتيازات والصلاحيات التي كانت عندنا بحكم الجلوس على العرش، ونحن هنا أيضًا نحل رعايانا من يمين الولاء لشخصنا.

صدر في قصر عابدين في هذا اليوم، الرابع من فبراير ١٩٤٢م»[1].

---

(١) من كتاب «رئاسيات مصر»، لأحمد عبد الخالق.

و ا ر س مه

روما

١٨ مارس ١٩٦٥م

منذ أن مات «حسنين» باشا، الذي كان يعتبره أبًا له، واضطربت كل حياته، كان دائمًا المعين له، منذ هذا الحدث وهو غريب الأطوار، واشتدَّ عليه الأمر في هذا المنفى، اصطحب معه عاداته السيئة (لعبه للقمار وأكله المفرط)، كل النقائص التي كان يفعلها في المحروسة تملأ إيطاليا، حياته أصبحت أكثر عبثًا، الصحفيون هنا يقلقون راحته، يضايقونه إلى أبعد حد، الجرائد الصفراء ممتلئة بصوره الشخصية والعائلية، سابقًا تحدث مع نورمان برايس، رد على كل تساؤلاته دفعة واحدة وقال:

«أما ما قيل عني وعن عصابة قصري التي أثْرت عن طريق شراء الأسلحة الفاسدة وإرسالها إلى جبهة القتال، فقد فاتهم أنني كنت أمثل عصابة قصري هذه، وقد وُجِدتُ بالجبهة، وإن كنت لا أدَّعي أنني أقمت في الخنادق مع جنود المشاة، لكني وُجِدت، شأن أي قائد في الجيش، وتعقدت ظروف الحرب، وكان علينا أن ننسحب، فمكثت أعمل لمدة خمس ليالٍ متصلة من دون نوم مع عصابة قصري الحقيرة ونجحت قواتنا في الانسحاب من دون أن نخسر قطعة واحدة وبخسارة بشرية لا تتجاوز واحدًا في المائة فقط من مجموع القوات المقاتلة..

وأي مقاتل اشترك في حرب يعلم تمامًا ماذا تعني هذه الأرقام.. وربما كانت الأسلحة رديئة بالفعل، لكنها كانت أفضل من لا شيء،

ولو كان جنودنا يمتلكون نصف الأسلحة والمعدات التي كانت لدى الصهاينة لطردناهم تمامًا من الشرق الأوسط».

أصبح أكثر اضطرابًا وعصبية، يأكل بشراهة غير معهودة على البشر، وكأنه يحاول الانتقام من طعامه، كمية كبيرة من السلطعون، عدد من أزواج المحار، البطاطس المحمرة دائماً على المائدة، غير الكعك المحشو بالشوكولاتة والمربَّى، أجهز على المائدة كاملة، داهمه شعور بالضيق، أنفاسه تخرج متثاقلة، صدره يكاد ينفجر، عيناه بلون الدماء، وجهه تنضح منه العروق، الإسعاف تأتي مسرعة، الطبيب يحاول إسعافه، لكن من دون فائدة، فاضت روحه، وتنفَّس آخر أنفاسه، الممرضة تمسك قلمها وتسجل «فاروق» في سجل الوفيات، مات «الفاروق» نظرًا لبدانته، والطعام الذي التهمه قد سبَّب له التخمة، فسقط صريعًا، ومات «فاروق» وانتهى عصر الأسرة العلوية، ذهبت الملكية لتأتي الجمهورية.

أحمد فؤاد الثاني ينتظر مرور نعشه، الجثمان يجوب شوارع إيطاليا، العَلَم المصري يحيط بالجثمان، ينظر الابن في حيرة شديدة، ليس بيديه شيءٌ يفعله، أوصاه أن يواري جسده بمصر، لكنه الآن في بلاد الغربة، يشق عليه الأمر، لا يستطيع تنفيذ أي شيء لأبيه..

رفض جمال عبد الناصر أن يُدفن بمصر، لكن الملك فيصل تدخَّل، ألحَّ على «جمال»، فوافق، لكن من دون أن يدفن بـ«الرفاعي»، انتقل جثمانه سرًّا ودُفن بجامع إبراهيم باشا سرًّا، حاول أن ينقل رفاته أكثر

من مرة لـ«الرفاعي»، ويأتي «السادات» ليلملم رفات عائلة حكمت مصر لمائة وخمسين عامًا ويرحِّب «الرفاعي» بجثمان «فاروق».

الصحف تلوَّنت بأخبار وشائعات لا يعرف أحد دقتها، الإعلامي محمود فوزي يصرح بأنه ليس لديه أدنى شك في تورُّط إبراهيم البغدادي، أحد الضباط الأحرار، في اغتيال الملك في منفاه بإيطاليا عن طريق دسِّ السم في مشروب تناوله؛ حيث قضى نحبه على الفور، وتم تشخيص سبب الوفاة على أنها نتيجة إصابته بأزمة قلبية.

حتى في مدفنه كان معزولًا، معزولًا عن عائلته، تشاء الأقدار أن يُدفن الملك، وينتهي عصر الدولة العلوية، وتظل القصص تُحكى والمؤرخون يفنِّدون سيرة عائلة حكمت مصر في فترة، بين القوة والضعف والاستعمار والانهزام.

* * *

أمر ملكي رقم ٦٥ لسنة ١٩٥٢

نحن فاروق الأول ملك مصر والسودان

لما كنا نتطلب الخير دائما لأمتنا ونبتغي سعادتها ورقيها

ولما كنا نرغب رغبة أكيدة في تجنيب البلاد المصاعب التي تواجهها في هذه الظروف الدقيقة ونزولا على إرادة الشعب

قررنا النزول عن العرش لولي عهدنا الأمير أحمد فؤاد وأصدرنا أمرنا بهذا إلى حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء للعمل بمقتضاه

صدر بقصر رأس التين في ٤ ذي القعدة سنة ١٣٧١ (٢٦ يوليو ١٩٥٢)

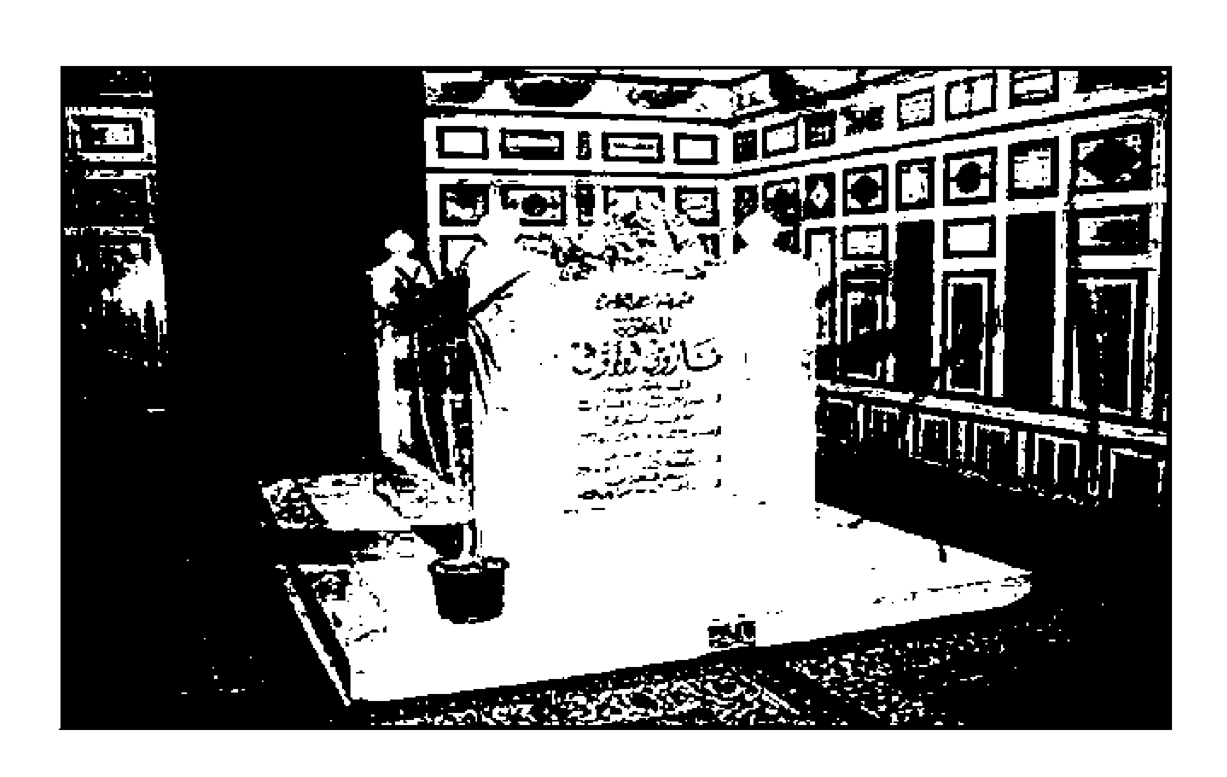
فاروق



خلع الملك أحمد فؤاد الثاني

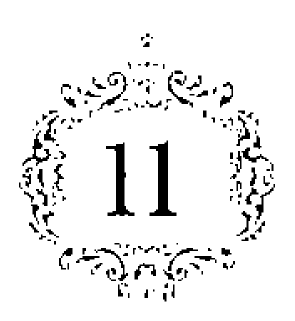
إسقاط حكم أسرة محمد علي نهائيا

الأهرام



ضريح الملك فاروق





إعلان الجمهورية وسقوط أسرة محمد علي

١٨ يونيو سنة ١٩٥٣م

«لمَّا كانت الثورة عند قيامها تستهدف القضاء على الاستعمار وأعوانه، فقد بادرت في ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٢م بمطالبة الملك السابق فاروق بالتنازل عن العرش لأنه كان يمثل حجر الزاوية الذي يستند إليه الاستعمار، ولكن منذ هذا التاريخ ومنذ إلغاء الأحزاب وجدت بعض العناصر الرجعية فرصة حياتها ووجودها مستمدة من النظام الملكي الذي أجمعت الأمة على المطالبة بالقضاء عليه قضاءً لا رجعة فيه.

وإن تاريخ أسرة محمد علي في مصر كان سلسلة من الخيانات التي ارتُكبت في حقوق الشعب، وكان من أولى هذه الخيانات: إغراق إسماعيل في ملذاته وإغراق البلاد، بالتالي، في ديون عرَّضت سمعتها وماليتها للخراب، حتى كان ذلك سببًا تعللت به الدول الاستعمارية للنفوذ إلى أرض هذا الوادي الأمين، ثُمَّ جاء توفيق، فأتم هذه الصورة من الخيانة السافرة في سبيل محافظته على عرشه.

فدخلت جيوش الاحتلال أرض مصر لتحمي الغريب الجالس على العرش، الذي استنجد بأعداء البلاد على أهلها، وبذا أصبح المستعمر والعرش في شركة تتبادل النفع؛ فهذا يعطي القوة لذاك في نظير هذه المنفعة المتبادلة، فاستذل كل منهما باسم الآخر هذا الشعب، وأصبح العرش هو الستار الذي يعمل من ورائه المستعمر ليستنزف أقوات الشعب ومقدراته ويقضي على كيانه ومعنوياته وحرياته.

«وقد فاق فاروق كل من سبقوه من هذه الشجرة فأثرى وفجر،

وطغى وتجبرَّ وكفر، فخطَّ بنفسه نهايته ومصيره، فآن للبلاد أن تتحرر من كل أثر من آثار العبودية التي فُرضت عليها نتيجة لهذه الأوضاع، فنعلن اليوم باسم الشعب:

أولًا: إلغاء النظام الملكي وإنهاء حكم أسرة محمد علي مع إلغاء الألقاب من أفراد هذه الأسرة.

ثانيًا: إعلان الجمهورية، يتولى الرئيس اللواء «أركان الحرب» محمد نجيب، قائد الثورة، رياسة الجمهورية مع احتفاظه بسلطاته الحالية في ظل الدستور المؤقت.

ثالثًا: يستمر هذا النظام طول فترة الانتقال، ويكون للشعب الكلمة الأخيرة في نوع الجمهورية واختيار شخص الرئيس عند إقرار الدستور الجديد.

فيجب علينا أن نثق بالله وبأنفسنا وأن نحس العزة التي اختص الله بها عباده المؤمنين، والله ولي التوفيق.

محمد نجيب

حسن إبراهيم

جمال عبد الناصر

كمال الدين حسين

صلاح سالم

جمال سالم

عبد الحكيم عامر

حسين الشافعي

أنور السادات

عبد اللطيف البغدادي

زكريا محيي الدين

خالد محيي الدين

١٨ يونيو ١٩٥٣م».

* * *





مصطلحات عثمانية جرى التعامل بها في الأسرة العلوية

كان الأسلوب التركي وأدبه يحويان أوصاف شرف، هي عبارة عن أسماء عربية تعبِّر عن صفات جيدة متبوعة بحرفي «لي» اللذين بمعنى «يتصف بـ»؛ فكلمة «**دولتلي**» معناها الذي يملك القوة، و«**سعادتلي**» أي صاحب السعادة، و«**عزتلي**» صاحب العزة.. وهذه الأوصاف اتخذت من الوجهة الرسمية ألقاب الشرف التي تعبِّر عمَّا هو عليه الشخص من وظيفة مدنية أو منصب ملكي؛ ففي عهد محمد علي باشا كانت الألقاب كثيرة نذكر منها «**رفعتلو**» و«**محبتلو**» وغيرهما، والآن سوف نقوم بإيجاز أهم وأكثر الألقاب شيوعًا واستخدامًا في مصر منذ عهد محمد علي باشا حتى نهاية عصر الملكية في مصر.

واستخدمت اللغة التركية كلمات عربية وفارسية كثيرة جدًّا، والكلمات العربية الموجودة في اللغة التركية كثيرة جدًّا، يتجاوز عددها عشرة آلاف كلمة، وعدد الكلمات الفارسية في التركية يبلغ الآلاف، وإليكم بعض الكلمات العثمانية (التركية) التي استُخدمت في الحياة العامة وفي عصر أسرة محمد علي.

الأفندي والبك والباشا

من أهم الرتب والألقاب الشرفية المستخدمة

الأفندي: هي كلمة يونانية، ومعناها «السيد»، وترجع إلى نفس اشتقاق لفظَي «باشا» و«بك»، واستُعمل لقب «أفندي» بمصر في

الأعمال الإدارية بالروزنامجة، لكن لقب «أفندي» بتركيا كان يُطلَق على نائب السلطان، وكان يُطلَق على ولاة مصر قبل محمد علي باشا، وهي كلمة أقل مرتبة من لقبَي **«الباشا»** و**«البك»**.

البك: هي كلمة معناها ذو مقام عالٍ، غني، ممول، رئيس، حاكم، آمر.. يُلفَظ هكذا «بيه»، ومن هنا سُمِّي مؤدب الملك في بلاد فارس «أتابك»، ومعناها السيد الأب، ثُمَّ أُطلقت «أتابك» على الوزير ووكيله وعلى الأمير نفسه. هذه الكلمة كانت قبل في مقابل الباشا في معنى والٍ أو حاكم إقليم أو أمير تابع لسلطان كما هو الشأن في بك تونس (باي تونس)، ثُمَّ صارت الآن تطلق على كبار موظفي الجيش بحريًّا وبريًّا، وتُوسِّع فيها حتى صارت تُعطَى الآن لقبًا تشريفيًّا من دون مراعاة وظيفة أو وراثة. كما كان الحال في مصر، قبل الثورة، مع «محرم» بك، صهر محمد علي باشا، الذي كان حاكمًا للإسكندرية في عهد محمد علي باشا.

الباشا: هي كلمة تركية، وهي لقب، لكنه ليس وراثيًّا، وأطلقها بعض المؤرخين على محافظ القاهرة وعلى محمد علي باشا الكبير نفسه، ولكن في أواخر عهده اقتصر اللقب على أبنائه فقط وبعض وزرائه[1] (إبراهيم باشا، وخورشيد باشا، وعباس باشا).

---

(١) التقرير السنوي لدار المحفوظات العمومية سنة ١٩٣٢م.

محافظ وحامٍ ووالٍ

محافظ: هي كلمة معناها حامٍ وتُطلَق في تركيا على قواد الحاميات أو محافظي المدن التي كانت لها أهمية حربية، وكان سابقًا محافظا الإسكندرية والسويس يسميان قبودان بك، مثل «محرم بك»[1]، ووالي مصر نفسه كان محافظًا للقاهرة، أي حاميًا لها، ثُمَّ أصبحت كلمة محافظ تطلق على مدلول كلمة «والٍ» في الأيام الأولى من عهد محمد علي باشا الكبير الذي كان لوقتٍ ما محافظًا للمدينة المنورة التي كانت تابعة لمصر.

والٍ: أما المعنى الحقيقي لكلمة «والٍ» بالتركية فهو: المحافظ العام أو نائب السلطان، وتقليد الولاية كان بحفل رسمي لإعطاء اللقب، وكان عمل الوالي هو الإشراف على كل شيء وتنظيم كل الأمور.

القومندان والكتخدا والكاشف

القومندان: هو رئيس القلعة، أي القائد، أما «السنجق» فهو العلم، ثُمَّ استُعمل لرئيس منطقةٍ ما، وفي الحرب يكون قائدها.

الكتخدا: أي الوكيل، واشتقت منها كلمة «كخيا»، وكانت محفوظات الحكومة في أول أمرها تُحفظ في دار الكتخدا، وقد عمل إبراهيم باشا كتخدا لوالي مصر محمد علي باشا حتى عام ١٨٤٨م،

---

(١) روبرت هنتر، مصر الخديوية.. نشأة البيروقراطية الحديثة، المجلس الأعلى للثقافة، ٢٠٠٥م.

أيضًا كان في المنصب نفسه عباس باشا، حفيد محمد علي باشا.

الكاشف: هو الحاكم، كمدير مديرية، وكان اختصاصه في الأعمال المالية والري فقط؛ وذلك لأن الشرطة كانت تابعة للجهة العسكرية.

الدفتردار والمهردار والروزنامجي

من بين الألقاب التي كانت تختص بوظائف بعينها هي:

الدفتردار: وهو مدير الشؤون المالية.

المهردار: هو حامل الختم، ومِن أشهر مَن تولى هذا المنصب: مصطفى رياض باشا؛ فقد عمل حامل ختم في عهد الخديوي إسماعيل في يناير ١٨٦٣م.

الروزنامجي: هو شخص كان يعينه الوالي (الباشا) لجمع الضرائب وضبط حسابات الحكومة، وأفندية الروزنامجة هم كتبة، والروزنامجة كإدارة الأموال المقررة قديمًا.

الخازندار وأمين الضربخانة وأمين احتساب

أما **الخازندار فهو**: أمين الخزنة؛ حيث كان المال الذي يُرسَل للأستانة يسمى الخزنة، وكان الذي يتوجه بها هو الخازندار، وهذا المال هو الباقي بعد النفقات اللازمة لموظفي وجنود البلاد والمعاشات،

كما كان الحال مع إبراهيم باشا ومحمد بك، صهر محمد علي باشا.

أمين الضربخانة: هو مدير دار سك النقود.

وأمين احتساب كرئيس بلدية.

أمير البحرين: هو مدير الجمارك، و«**أغا**» هو رئيس، و«أغا الرسالة» هو مدير البريد.

الشوربجي: هو زعيم، وغالبًا تُستعمل كلمة ضابط، أما «متصرف» فهو موظف بمقام مأمور مركز، وقديمًا كان حاكم البلد، بصرف النظر عن كبر البلد أو صغره، أما شيخ البلد فهو حاكم مصر الفعلي، وهو كبير أمراء مصر من المماليك.

أودة باشي: هو رئيس الغرفة، أي رئيس حجاب، وكان يضع على رأسه طاقية سوداء ولها حرف يشبه حرف الطبق، فأطلق عليه العوام «**أبو طبق**»، وكان الضابط المكلف بإبلاغ الوالي قرار عزله، فيقول له: «انزل يا باشا»، أي يغادر القلعة مقر الحكم.

جوخدار: ضابط ملحق بالقاضي وغيره لتنفيذ أوامره، أما **القواص** فهو حاجب يقوم بتنفيذ الأوامر.

الملا: هو قاضٍ أو حاكم.

العزيز: هي كلمة عربية اشتُق منها «عزتلو» وصاحب العزة والعزيز، معناها صاحب الشرف المقدَّس النابه، وكلمة العزيز مذكورة في القرآن الكريم؛ حيث أطلقت على وزير فرعون مصر

(فوطيفار) وعلى «يوسف»، عليه السلام، لكن لقب عزيز لم يكُن لقبًا رسميًّا، لكنه كان لقبًا أطلقه المؤرخون على بعضهم كقولهم: «صاحب السمو سعيد باشا عزيز مصر»، أو «خديوي مصر أو مولاها الخديوي إسماعيل»، كما كانت هناك ألقاب تطلق على أكثر من فرد واحد؛ فعلى سبيل المثال كانت تطلق كلمة:

وجاق: على الموقد، لكنها تحولت كي تطلق على العائلة، ثُمَّ تطورت لتشمل مجموعة من الجيش.

الباشبوزق: هي عبارة عن عساكر غير نظاميين.

الإنكشارية: كانت تُطلَق على الجيش الحديث، ورئيس وجاق الإنكشارية كان يسمى «أغا الإنكشارية»، وكان هو القائد الأعلى للجيش، ثُمَّ صار بعد ذلك محافظًا لمصر أو حاكمها.

من بين الألقاب التي كانت تطلق على الأماكن كلمة:

شفلك: فهذه الكلمة التركية، التي معناها «مزرعة»، مركبة من كلمتين، الأولى «شفت»، وتعني محراث، والثانية «لك» وتعني مكان الحرث، ومجموعهما المتقدم يكون معناها المزرعة؛ إذ إن المزرعة شاملة للجزأين، ثُمَّ نُقلت إلى اللغة العربية مع إبدال حرف الشين جيمًا (جفلك)، ولا أصل لها في اللغة العربية، واستعمالها قديم في اللغة العربية، وأُعطيت «الشفالك» لأعضاء الأسرة الخديوية وبعض الأعيان، وكان مصطفى بهجت باشا كبير مهندسي شفالك الوالي،

وكان علي بدراوي بك ناظرًا الشفلك الخديوي عباس، وأيضًا لمحمد علي باشا، أما الأباعد فهي نوع كـ«الشفالك»، لكنها أصغر في المساحة بشكل كبير وسُميت «أباعد» نظرًا لبُعدها عن مساحات **فك الزمام**.

فك الزمام: كلمة معناها عمل مساحة جديدة يُستعاض بها عن المساحة السابقة، وفك زمام بلد أي إعادة مساحتها، وأراضٍ خارج الزمام أي الأراضي التي لم تحصر بمساحة فك الزمام، وهي غالبًا الأراضي غير الصالحة للزراعة، والمكلفة هي الأراضي التي كان يكلف بها الأهالي لزراعتها وابتدأ العمل بها عام ١٨٣٧م بناحية ميت السودان ومركز دكرنس بالدقهلية.

أما الألفاظ التي كانت تطلق على نوعيات الأوامر وأشكالها، فعلى سبيل المثال: كان يطلق على الأمر السلطاني اسم «فرمان»، وكان يطلق على الأمر العالي الصادر من والٍ مستقل اسم «دكريتو»، أما «**الطومار**» فكان يطلق على كل ورقة طويلة مطوية على شكل أسطوانة بمعنى وثيقة أو حجة أو منشور.

السيمافور: كلمة ذات أصل فرنسي (semaphore)، وهي تعني العمود المخصص لإعطاء إشارات ضوئية أو حركية.

بيادة: مصطلح من أصل فارسي، ويعني الماشي مترجلًا، أي: على رجليه، ويُطلَق أيضًا على جماعة المشاة في المعسكر، ومنه أيضًا «البيدق»، أي الماشي راجلًا. وأُطلق اللفظ في القرن التاسع عشر على إحدى المدارس الحربية (مدرسة البيادة). وحُرِّف الاستخدام بين العامة ليُطلَق على نوع الحذاء الذي يرتديه رجال الحربية.

البيورلدي: فعل ماضٍ مبني للمجهول من المصدر التركي «بيورمق»، بمعنى أن يأمر. ومعنى كلمة «بيورلدي» هو «أُمر بـ...»، وتحولت هذه الصيغة الفعلية إلى اسمية وصارت عَلَمًا على الأمر المكتوب بالرسم الهمايوني الصادر من الصدر الأعظم أو من أحد الولاة، وقد كان هذا الاصطلاح يطلق في مصر حتى سنة ١٩١٥م على براءات التعيين وعلى الشهادات التي يحصل عليها المتخرجون في الأزهر الشريف، ولها صيغتان أخريان، هما: البيوردي والبيولردي.

أمير الحاج: لقب وظيفي مؤلَّف من كلمتين: «أمير» بمعنى رئيس أو قائد أو والٍ، و«حاج» وهو قاصد مكة للنسك، وجمعها حجاج وحجيج. وتتمثل أهم واجبات أمير الحاج في قيادة الحجيج إلى مكة والعودة بهم وتأمينهم من اللصوص وقطاع الطرق.

جزمة: كلمة تركية أصلها «جيزمه»، وهي من أغطية القدم، عبارة عن حذاء طويل الساق ذي رقبة طويلة يقي القدم من ملامسة الأرض. وقد يُقال لـ«الجزمة»: «كندرة» و«مزد» و«نعل» و«خف» و«موق» و«سوقاء».

ملس: كانت تستخدمه المرأة المصرية كغطاء في الطريق، ويتميز بكثرة ثناياه وسعته لمواراة تقاطيع الجسد. وكان المتبع في ارتداء الملس منذ القرن التاسع عشر هو أن تلبس المرأة السروال تحته حتى لا يدع مجالا لإظهار تفاصيل الجسد ومفاتنه. ثُمَّ تحوَّل تدريجيًّا إلى الملاءة الشعبية.

السلطان: السلطان يعني الحجة، وسُمِّي السلطان بذلك لأنه حجة على الرعية، يجب عليهم الانقياد له. وقد اختلفت الروايات في اشتقاقه؛ فقيل: إنه مشتق من السلاطة، وهي: القهر والغلبة؛ لقهره الرعية وانقيادهم له. وقيل: مشتق من السليط، وهو «الشيرج» في لغة أهل اليمن؛ لأنه يُستضاء به في خلاص الحقوق، وقيل من قولهم لسان سليط، أي حاد ماضي؛ لمضي أمره ونفوذه. كانت بداية استخدام هذا اللقب للدلالة الفخرية وليس كدلالة على وظيفة أو رتبة. ثُمَّ استخدم فيما بعد للدلالة على المناصب القيادية في الحكم، فالسلطان هو حاكم البلاد.

ألمعي: من ألقاب التشريف، أُطلق في العصر الإسلامي المتأخِّر على الذكي متوقِّد الذكاء، صادق الفراسة. وظل اللقب مُستخدَمًا حتى في العصر الحديث للدلالة على الذكاء والنبوغ والذهن الحاضر.

بقجة: هي المنديل الذي تُصرُّ فيه الملابس وغيرها من الأدوات، وهي عبارة عن قطعة من القماش مربعة لها أربع زوايا توضع فيها الأمتعة وتربط من أطرافها الأربعة لضمان إحكامها وحمايتها، وأصل الكلمة يرجع إلى الكلمة التركية «بوغجه» وهي تصغير «بوغ» ومصدر الكلمة «بوغمق» بمعنى أن يخنق. وقد شاع استخدام اللفظ في مصر وراج بين جميع الفئات والأوساط.

يشمك: لفظة يشمك من التركية «يشمق» بمعنى طرفة أو غطاء للرأس، وقد كانت نساء الطبقة الأرستقراطية والموسرة يستخدمن

اليشمك بدلًا من البرقع ورأس الحبرة المميز لسيدات الطبقة الوسطى، واليشمك عبارة عن طرحة بيضاء من نسيج رقيق يشبه إلى حد كبير الشاش، وتغطي الوجه. أما الرأس فتضع عليه ما يسمى «العزازية»، وهي كالعمامة الخفيفة المبطنة بأسلاك دقيقة، فتعظِّم بها السيدة رأسها، وتحيطه ببقية اليشمك. وقد تكون «العزازية» مرصعة بالحلي والجواهر على قدر كل سيدة وثراء أهلها.

الخواجا: «خواجة» كلمة فارسية معناها السيد ورب البيت والتاجر الغني والحاكم والمعلم والكاتب والشيخ، وقد انتقلت كلمة «خواجة» إلى العربية في صيغتها «خواجا» وانتقلت إلى التركية في صيغتها «خوجة» بمعنى المسجل أو الكاتب أو الناسخ والمتعلم أو المعلم. وفي مصر شاع استعمال هذا اللفظ بصيغة «خوجة» للدلالة على المعلم.

شاهبندر التجار: «شاه» كلمة فارسية تعني الملك أو السلطان أو الرئيس، و«بندر» فارسية أيضًا، انتقلت إلى اللغتين التركية والعربية، وتعني ميناء التجارة. و«شاهبندر» تعني في اللغة الفارسية الشخص المسؤول والمعيَّن من قِبَل الدولة في بلاد دولة أخرى للدفاع عن حقوق المواطنين ومصالحهم التجارية، وقد استعمل الأتراك هذا المصطلح للدلالة على قناصلهم في الخارج، عرفت مصر هذا اللقب منذ النصف الأول من القرن السابع عشر على أقل تقدير؛ حيث تشير الوثائق إلى «الخواجا عبد اللطيف شاهبندر التجار» عام ١٠٥٠هـ ١٦٤٠م، كان شاهبندر التجار، عادةً، شيخ التجار وأغناهم وأكبرهم

سنًّا ومكانة، وكانت مهمته أن يباشر التجار وأرباب الحرف وينظر في شؤونهم ويحل المنازعات التي تحدث فيما بينهم، كما أنه يمثلهم لدى السلطة الحاكمة. ويشير «الجبرتي»، في كتابه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، عند حديثه عن تعيين شاهبندر التجار، بقوله: «له الحكم على جميع التجار وأهل الحرف والمتسببين في قضاياهم وقوانينهم وله الأمر والنهي فيهم».

بصمة: بصم من التركية «باصمق»، بمعنى أن يطأ برجله، أو أن يضغط أو أن يطبع. وقد عُرفت «البصمة» كنسيج في القرن التاسع عشر، وقد سُمِّي بذلك لأنه مطبوع بالألوان، ومنها «بصمجي»، وهو الذي يتولَّى الختم. والبصم أيضًا هو الخاتم أو التوقيع.

زعبوط: الزعبوط هو ما يرتديه الفلاحون في أيام الشتاء فوق القميص والسروال، وهو عبارة عن عباءة واسعة الأكمام طويلة فضفاضة، مفتوحة ابتداءً من الرقبة إلى الوسط تقريبًا، ويُصنع من الصوف أو الكتان.

الجوخ: في الفارسية «جوخا» وفي التركية «جوخه»، وهو قماش منسوج، يبدو وجه القماش وظهره متشابهين من حيث السطوح الوبرية بخلاف النسيج العادي الذي يختلف وجهه عن ظهره. وكان يُصنع منه الطرابيش في مصر. وقد استُخدم الجوخ بأنواعه في الملابس العسكرية، بالإضافة إلى كثيرٍ من الملابس المدنية لأفراد الشعب، ومنها: البنش والجبة والصديري... إلخ. ومنها: الجواخدار، وهي

من مقطعين: «جوخ» و«دار»، وهي في الفارسية بمعنى صاحب، وهي تعني صاحب الجوخ والقَيِّم عليه، وهو موظف مدني يُناط به النظر في شؤون الملابس.





مراجع استفاد منها المؤلف

- إبراهيم زكي بك، **الحالة المالية والتطور الحكومي والاجتماعي في عهدَي الحملة الفرنسية ومحمد علي**، القاهرة: المطبعة العصرية، د. ت.
- د. أحمد محمد الحتة، **تاريخ الزراعة في عهد محمد علي الكبير**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٠م.
- د. أحمد محمد الحتة، تاريخ مصر **الاقتصادي في القرن التاسع عشر**، ط ٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨م.
- أحمد زكي بدوي، **تاريخ مصر الاجتماعي**. مطبعة صلاح الدين الكبرى، د. ت.
- إلياس الأيوبي، **محمد علي.. سيرته وأعماله وآثاره**، القاهرة: دار الهلال، ١٩٢٣م.
- إلياس الأيوبي، **تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل** ١٨٦٣ – ١٨٧٩م، مج ١، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤١هـ ١٩٢٣م.
- أمين سامي باشا، **تقويم النيل**، مج ١، مج ٢، ج ٢، ج ٣، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٣٦م.
- جرجي زيدان، **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر**، ج ١، ط ٣، بيروت: مكتبة الحياة، د. ت.
- رفاعة بك رافع، **مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية**، القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٨٦هـ.
- رينيه قطاوي وجورج قطاوي، **محمد علي وأوروبا**، نقله إلى الفرنسية د. ألفريد إيلوز، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٢م.
- د. زين العابدين شمس الدين نجم، **إدارة الأقاليم في مصر** ١٨٠٥ – ١٨٨٢م، القاهرة: دار الكتاب الجامعي، ١٩٨٨م.
- د. زين العابدين شمس الدين نجم، **مصر في عهدَي عباس وسعيد**، ط ٢، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩م.
- عبد الرحمن الجبرتي، **عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، ج ٤، القاهرة: مطبعة الأنوار المحمدية، ١٩٨٦م.

- عبد الرحمن الرافعي، **عصر محمد علي**، ط ٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٠هـ ١٩٥١م.
- عبد السميع سالم الهواري، لغة الإدارة العامة في مصر في القرن التاسع عشر، القاهرة: المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ١٩٦٢م.
- محمد خليل صبحي، **تاريخ الحياة النيابية في مصر في عهد ساكن الجنان محمد علي باشا**، ج ٤، القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٧م.
- هنري دودويل، **الاتجاه السياسي لمصر في عهد محمد علي مؤسس مصر الحديثة**، تعريب: أحمد عبد الخالق، علي أحمد شكري، القاهرة: مكتبة الآداب، د. ت.
- داود بركات، **البطل الفاتح إبراهيم وفتحه الشام ١٨٣٢م**، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤م.
- **إبراهيم باشا في سوريا**، تقديم ودراسة ومراجعة وتعليق: لطيفة محمد سالم، تصدير: يونان لبيب رزق، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٩م، مؤلف مجهول.
- **مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا**، تحقيق وتقديم: أحمد غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، د. ت.
- عبد الله فوزي عبد الله الجنايني، **إبراهيم باشا ودوره في بناء مصر الحديثة**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بنها، ٢٠٠٨م.
- فوزي السيد المصري، **الصراع بين عباس حلمي الأول وأفراد أسرته ونتائجه ١٨٤٨ - ١٨٥٤م**، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، العدد ٤٩، ١٩٩٩م، ص ٢٢١ - ٢٥٣.
- إلياس زخورة، **مرآة العصر**، القاهرة: المطبعة العمومية، ١٨٩٧م.
- **مذكرات نوبار باشا**، تقديم ودراسة وتعليق: د. لطيفة محمد سالم، ترجمة: جارو روبير طبقيان، مراجعة: د. إلهام ذهني، تقديم: ميريت بطرس غالي، ج ١، ج ٢، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٩م.
- **محمد علي وعصره**، تصدير: د. محمد صابر عرب، مجموعة مؤلفين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

- الأمير عثمان إبراهيم وكارولين وعلي كورخان، **محمد علي الكبير.. خصوصيات عائلة ملكية.. مذكرات حميمة (١٨٠٥ – ٢٠٠٥م)**، ترجمة: هدى كشرود، مراجعة وتقديم: مجدي عبد الحافظ، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، ٢٠٠٥م.
- د. أمل صديق عفيفي، **أيام في حياة محمد علي**، القاهرة: دار مشارق للنشر والتوزيع، ٢٠٠٧م.
- ف. روبرت هنتر، مصر الخديوية.. نشأة البيروقراطية الحديثة، ترجمة: بدر الرفاعي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، ٢٠٠٥م.
- إدوارد دريو، محمد علي ونابليون.. مراسلات قناصل فرنسا في مصر، ترجمة: ناصر أحمد إبراهيم، مراجعة وتقديم: رؤوف عباس حامد، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، ٢٠٠٧م.
- جورج جندي بك وجاك تاجر، **إسماعيل كما تصوره الوثائق الرسمية**، القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠١٣م.
- عزيز زند، **تاريخ الخديوي محمد باشا توفيق**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ١٩٩١م.
- عبد الرحمن زكي، **محمد علي وعصره**، القاهرة: دار الكتاب العربي.
- **مذكرات الأميرة جويدان.. زوجة الخديوي عباس الثاني**، القاهرة: دار الهلال، ١٩٨٠م.
- **عهدي.. مذكرات عباس حلمي الثاني خديوي مصر الأخير ١٨٩٢ – ١٩١٤م**، القاهرة: شروق للنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.
- د. لطيفة سالم، **فاروق من الميلاد إلى الرحيل**، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٥م.
- مجموعة مؤلفين، **ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا**، مجموعة أبحاث ودراسات لتاريخه، القاهرة: دار الكتب، ١٩٤٨م.
- محمد نجيب، **كنت رئيسًا لمصر**، ط ٢، القاهرة: المكتب المصري الحديث، ١٩٨٤م.
- عفاف لطفي السيد مارسو، **مصر في عهد محمد علي**، ترجمة: عبد السميع عمر زين الدين، مراجعة: السيد أمين شلبي، القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة)، ٢٠٠٤م.

- خالد فهمي، كل رجال الباشا.. محمد علي وجيشه وبناء مصر الحديثة، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٤م.
- الأمير محمد علي، مجموعة خطابات وأوامر خاصة بالمغفور له عباس باشا الأول، د. ت.
- إلياس الأيوبي، تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل، ط ٢٠، مج ١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٦م.
- عبد الرحمن الرافعي، عصر الخديوي إسماعيل، مج ٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م.
- محمد عبد الخالق، رئاسيات مصر، القاهرة: روزاليوسف، ٢٠٠٤م.
- ميخائيل شاروبيم، رقيب على أحداث مصر، تحقيق ودراسة: يونان لبيب رزق، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠م.
- سليم قيعن، اللآلئ السنية في التهاني السلطانية، القاهرة: مؤسسة هنداوي، ٢٠١٣م.

أرشيفات استفاد منها المؤلف

- أرشيف جريدة الأهرام.
- أرشيف مجلة الاثنين والدنيا.
- أرشيف مجلة المصور.
- مجلة ذاكرة مصر.

مواقع تمت الاستفادة منها

- الموقع الإلكتروني لذاكرة مصر المعاصرة..

http://modernegypt.bibalex.org

- الموقع الإلكتروني:

https://www.faroukmisr.net/

- موقع بوابة الحضارات:

http://hadarat.ahram.org.eg

- موقع أمواج:

http://www.amwague.com/

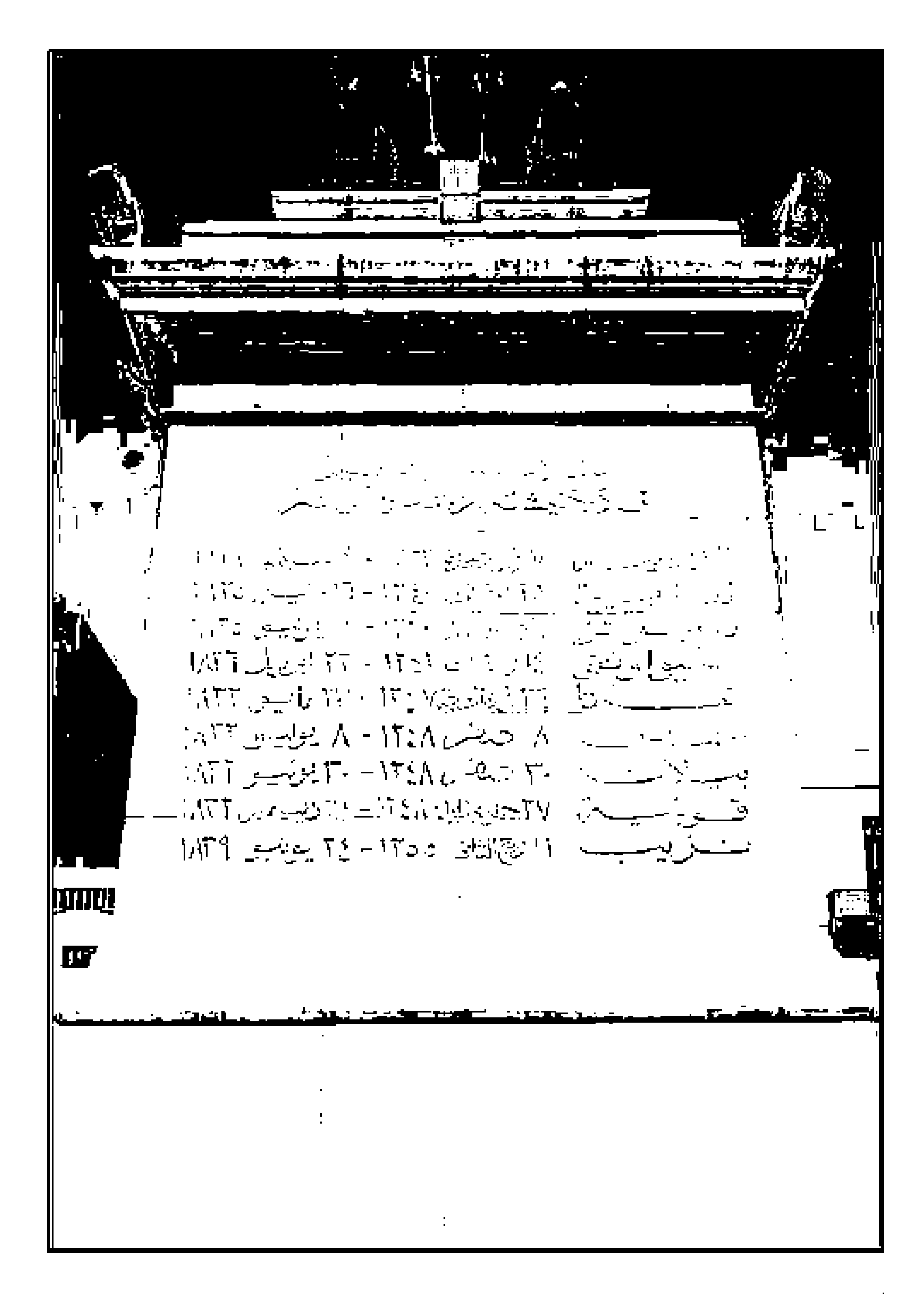


ملاحق وثائقية



محمد علي

قصيدة من نظم فنان الخط العربي الشهير، الراحل سيد إبراهيم، أحد أبرز الخطاطين في القرن المنصرم



قاعدة تمثال إبراهيم باشا، وتظهر عليها أسماء وتواريخ الحروب التي خاضها وانتصر فيها



صورة لضريح إبراهيم باشا مدونًا عليها النص الشعري السابق

المصائب واكدار الاخطار وباشر شؤون رعيته بنفسه دهاء داعي المنون فلباه بلا ابطاء وفارق ديار الشقاء هذه الى دار الفناء والبقاء وابقى لنا مآثره وآثاره ذكراً حميداً واثراً مجيداً يخلد فخراً لمصر في تاريخها ما تعقب الجديدان وتلعب الورق على الاغصان

أسباب وفاة العزيز

عزيز مصر الذي كوى بموته قلوب سبعة ملايين نفس وتركهم على نار فراقه يحترقون . الامير الخطير الذي كانت حياته قطباً من اقطاب معدودة تدور عليها افلاك السلم والسكون . كبير العائلة المحمدية العلوية الذي اعترفت لموته مصالح الدول الاوربية سمو الجناب محمد توفيق باشا لايجوز ان يترك سبب موته نسياً منسياً بل ان لم تطلب العائلة الكريمة الخديوية والحكومة المصرية ايضاح الاسباب طلبتها الامة وان لم تطلبها الامة طلبتها الدول الحليفة وكل دولة ذات شأن في البلاد المصرية . ولهذا طلب عطوفتلو مصطفى باشا فهمي رئيس النظار من سعادة الدكتورين سالم باشا سالم وعيسى باشا حمدي طبيبي المغفور له تقريراً عن اسباب وفاته وحالة مرضه ومعالجاته وطلب تقريراً آخر من حضرة الدكتور كوماتوس والدكتور عيس اللذين استدعيا للشاهدة عند اشتداد حالته فرفع اليه الدكتوران عيس وكوماتوس تقريرها باللغة الفرنسوية في ٨ الجاري واما سعادة الدكتوران سالم باشا وعيسى باشا فحسن سعادة سالم باشا ان يرفع تقريره على حدته وهو كالادرجاه في هذا العدد والذي يطالع تقارير هؤلاء الاطباء الثلاثة ويمعن النظر في عبارات لم

يعلم ان معالجة الحضرة الفخيمة الخديوية لا تسلم من الغلطة والخطأ في بعض وجوهها وكلهم متفقون على ان حال الجهاز الذي منه الكليتان لم يعرف عنهم ولم يكتشف لهم الا بعد استعصاء الداء ونفاذ القدر والقضاء . وقد قال سعادة الدكتور سالم باشا صريحاً في تقريره ان الجهاز المذكور كان بعضه مصاباً بورم وبعضه مصاباً بالتهاب وقد اخفي ذلك عنه اخفاء . وقال الدكتوران عيس وكوماتوس انهما لم يخبرا بحقيقة حالة الكليتين حتى اصرا على رؤية البول . وكلهم متفقون ايضاً على ان حصر البول هو الذي افضى الى سم الدم

ومما يزيد الاسف شدة انهم لعدم علمهم بحقيقة احوال الكليتين وصفوا له علاجات يجتنب الاطباء وصفها متى علموا ان حالة العليل على مثل ما كانت عليه حالة الفقيد رحمه الله رحمة واسعة فكانت الحوادث مساعدا على الداء لا شافياً له . وهذه صورة التقارير المتقدمة

تقرير

مقدم من سعادة الدكتور سالم باشا سالم الى عطوفتلو افندم رئيس مجلس النظار عن حالة مرض الحضرة الفخيمة الخديوية اسكنها الله فراديس الجنان وسقى ضريحها صائب الرحمة والرضوان

في يوم الجمعة اول يناير ١٨٩٢ الموافق غرة جمادى الآخرة ١٣٠٩ كتبت بمصر حسب الطرح الشفاهي بخلاف تقدم من التاريخ ان الجناب العالي الخديوي لم يؤد صلاة الجمعة بجهة حلوان حسب عادته الشريفة فتوجهت الى حلوان فوراً لمعرفة حالته

التقرير الطبي المشار إليه في النص عن أسباب وفاة الخديوي توفيق



صورة لمدخل حوش الباشا أو قبة الباشا، الذي يضم معظم أضرحة
معظم أفراد الأسرة العلوية

الأهرام

يوم السبت ١٩ دسمبر سنة ١٩١٤ — ٢ صفر ١٣٣٣ — ١٠ كيهك سنة ١٦٣١

التغيير العظيم

في مركز القطر المصري

اصدرت الوقائع المصرية الملحق الآتي وهو بنصه

اعلان

يعلن ناظر الخارجية لدى جلالة ملك بريطانيا العظمى انه بالنظر لاقدام سمو عباس حلمي باشا خديو مصر السابق على الانضمام لاعداء الملك قد رأت حكومة جلالته خلعه عن منصب الخديوية وقد عرض هذا المنصب السامي مع لقب سلطان مصر على سمو الامير حسين كامل باشا اكبر الامراء الموجودين من سلالة محمد علي فقبله

إعلان خلع عباس حلمي وإقامة مصر سلطنة وتنصيب حسين كامل سلطانًا على مصر تحت الحماية البريطانية



No. 116 - Vol. III. CAIRO 15th OCTOBER, 1917.

العدد = ١٤ (السنة الثالثة) القاهرة يوم الاثنين في ١٥ اكتوبر سنة ١٩١٧ ثمن النسخة ١٠ مليمات مؤقتاً

فاجعة مصر

...زت اعصاب البلاد من ساحل البحر
...شمالاً الى اقصى حدود السودان
...اقريقيا جنوباً تروعت
...وخفقت القلوب وسالت الآماق
...المدامع والطمب الجلل الفادح
...دولة رئيس الوزراء بكلمات
...الدمع انطفاء ذلك النور الساطع
...كان يضيء البلاد — يا
...مصر وعميدها وسلطانها
...المغفور له ساكن الجنان صاحب
...السلطان حسين . قال الوزير —
...مصر مصيبة عظيمة قد هدت
...القلوب فقد انتقل ذو العرش
...الى جواره في دار النعيم المقيم
...المغفور له
...الاول ولفظ النفس الاخير من
...ظهر هذا اليوم
...الكريم ...
...وبديع الخلال ...
...في انشاء المدة الرهيبة التي تبوأ
...عرش مصر — ...
...— بل في جميع ادوار حياته
...قد استحق شكران الوطن
...رحمة الله ...
...القلب الرحيم فكان على
...المحبة والتوقير في نفوس
...بل في قلوب جميع المصريين
(البقية على الصفحة ٣)

المغفور له ساكن الجنان السلطان حسين كامل

خبر وفاة السلطان حسين كامل

من القيادة العامة للقوات المسلحة

إلى القائد البحري جلال بك علوبة قائد اليخوت الملكية

عليكم الابحار باليخت الملكي المحروسة اليوم الساعة ١٨٠٠ لنقل حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول إلى خارج البلاد بعد تنازله عن العرش، والعودة بهذا اليخت سليما إلى ميناء الاسكندرية مباشرة.

مصطفى باشا

القائد العام للقوات المسلحة

الساعة ١٥٠٠ يوم السبت ٢٦ يوليو ١٩٥٢

الأمر الصادر إلى الأميرالاي جلال علوبة بنقل الملك فاروق على اليخت محروسة إلى نابولي



شجرة الأسرة العلوية



معركة نفارين البحرية في ضوء الوثائق المصرية[1]

الوثيقة رقم (١)

الموضوع: تجهيز محمد علي أسطوله، وإرساله إلى المورة لتأديب الثائرين على الدولة بناء على أوامر السلطان العثماني.

المصدر: دفتر ٤ معية تركي – ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢٩٢.

التاريخ: ٢٩ رمضان ١٢٣٦هـ.

من المعية:

إلى ملجأ الصدارة..

حضرة سلطاني ومولاي صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهة ولي النعم العالي الهمم الكثير اللطف والكرم.

بينما كان عبدكم بمصر في شبرا وصل في يوم الثلاثاء الحادي عشر من شهر رمضان أمركم السامي الصادر بالشرف سابقًا

(١) الوثائق من مقال خاص بالدكتور عبد المنعم جميعي، في مجلة المؤرخ العربي، عدد ١ مارس ١٩٩٨ .

الآمر بتجهيز مقدار مناسب من سفن عبدكم وتعيين قائد عليها وإرسالها توًّا إلى جهة مورة، وإفهام قائدها أن يعمل بمقتضى الحال بالمخابرة مع علي بك، قائد السفن الهمايونية الموجودة في حوالي ألبانيا (بلاد الأرنود)، وإرسال سفينة أو سفينتين من السفن الصالحة للعمل أيضًا إلى الجزر فيما وراء رودس، بناءً على أن رعايا مورة قد عصوا بسبب ما دبره كفار الروم من الوساوس وما نصبوه من شراك الدسائس، وسرى عصيانهم إلى مجاوريهم، فأظهر الطغيان أيضًا رعايا لواديه وصالة وآتته فسدوا الطرق حتى أرسل حضرة والي الروم إيلي باشا إلى جانب مورة عساكر كما يلزم وأذيعت أيضًا أوامر السبي والاسترقاق بموجب الرخصة الشرعية، واقتضت المصلحة إبراز السطوة والجلادة للغاية نحو مورة، وقد قام كفار جامليجة وصوليجة وأبيصاره أيضًا ورفعوا رؤوسهم. وحيث توجد عند هؤلاء المذكورين سفائن حربية، فمن الملاحَظ أن يتعرضوا لسفن التجار التي تطرق وتمر بها، والذخائر التي ترسل إلى الأستانة، وللعساكر الذين ينقلون من الأناضول إلى الروم إيلي، والقاضي أيضًا بإرسال الذخائر المعتاد إرسالها كل سنة من الأقاليم المصرية إلى الأستانة، مع ضم مثلها عليها في هذه المرة لئلا تقع مقاسات ضائقة من جهة الذخائر بسبب ما حدث في إفلاق وبغدان من الفتن، فعندما ازدانت يد التكريم بهذا الأمر الكريم ركبت بعد الإفطار في السفينة «فانجه» وأتت إلى الإسكندرية ليلة الخميس فجهزت ثلاث عشرة سفينة ببركات هممكم السامية في مدة أربعة عشر يومًا من اليوم الرابع عشر من

شهر رمضان إلى اليوم الثامن والعشرين منه بمضاعفة السعي ليل نهار، وقد اشتريت أربع سفن من تجار الإفرنج وابتدر إلى تجهيزها وتهيئتها أيضًا بعناية خاصة ووُضعت فيها المدافع ورماة المدافع، وعُيِّن عبدكم محمد أغا طبوزادة، من رؤساء البوابين في الإيوان العالي، قائدًا عليها، فيرسل مع تلك السفن بمنِّه تعالى في اليوم العاشر من شوال بعد العيد إلى جهة رودس وتلحق الموجودة في الإسكندرية في الأسطول الهمايوني أيضًا بتلك السفن بوضع العساكر والمهمات فيها، وحيث توجد في رودس وبدروم سفينتان لصهري عبدكم محرم بك وسفينة لعبدكم، وسفينة أميرية أيضًا في رودس، فيرسل ما يكفي لهذه السفن الأربع من الأنفار وسائر المهمات وتلحق بتلك السفن، وتعزز تلك السفن أيضًا من ورائها بتجهيز ما يرد من الخارج من السفن من سفن عبدكم، وسفن عبيدكم أتباعي الصالحة للعمل مع الاستمرار على اشتراء مقدار وافٍ من السفن الواردة إلى الإسكندرية الموقوفة بها من تجار الإفرنج وإرسالها أيضًا بوضع العساكر والمهمات فيها على لحاق سفن عبدكم المرسلة، واجتماعها مع سفن الأسطول الهمايوني وإن كان من الأمور المشكلة، بالنظر إلى ما بلغنا من سد أشقياء البحر المضايق بسفن كثيرة.

لكن من قبيل اللازم والملزوم للاجتماع، تجول هذه السفن في تلك المياه، وسعى مأمور الأسطول الهمايوني جهده في الورود، فعليه تلزم مضاعفة قوة مأمور الأسطول الهمايوني وحمله إلى

إجراء الإرادة الملوكية في أقرب وقت، وبعد اجتماع سفن عبدكم مع سفن الأسطول الهمايوني بعناية ربنا الفتاح، وإعانة جناب مرسل الرياح، وسيرهم على سفن أشقياء البحر بالاتفاق وحصول التغلب عليهم، وقهر الأشقياء المذكورين، وتدمير وتيسير تطهير جهة البحر منهم بقوة حظ حضرة صاحب مالك ممالك العالم يكون من الأمر السهل الهين قهر الجزر المذكورة واستئصالها.

وبعد ذلك إلى أي جهة انتدبت السفن بالاتفاق، سواء أكان هذا الانتداب لجهة مورة أم لأي جهة أخرى يوصل من ورائها العساكر والأدوات اللازمة بوضعها في سفن التجار وإرسالها على التعاقب وتستحصل أسباب غالبيتهم، وقد استؤجرت بعد تفكير دقيق على سبيل التجربة سبع سفن من تجار الإنجليز لإيصال الذخائر إلى الأستانة في هذه الأيام، وشحنت السفن المذكورة بخمسين ألف (هكذا هنا) كيل من القمح وجهزت للإرسال على أن تُسلَّم للمخازن العامرة، فبعد إرسال السفن المجهزة بيوم تُرسَل سفن الذخائر هذه إن شاء الله تعالى، ولدى وصول خبر الذخائر المذكورة بالسلامة من المضيق إلى الداخل، وبلوغ هذا الخبر لصوب عبدكم بسرعة ترسل الذخائر إلى الأستانة على التعاقب ويكمل المقدار الذي هو مطلوب المقام العالي من الذخائر، ويرسل على التعاقب أيضًا ما طلب من الذخائر التي تُعرض للبيع بأثمانها الجارية بتجهيزها لتُباع في الأستانة بأسعارها الجارية، وحيث إنه لا ريب ولا اشتباه أني أبذل كل همتي ومكنتي لإجراء مضمون الأمر العالي وإنفاذ

الأمر والإرادة في جميع الأزمان، لا سيَّما في مثل هذا الأوان، كما لا شك في أن الجهاد والغزوة فرض عين علينا فلا محالة أنه لا يضن بالخدمة والسعي جهد الطاقة فوق سعي من كل الجهات في سبيل الدين والملة، وفي سبيل دولتنا ومرضاة لمولانا وولي نعمتنا صاحب الشوكة والكرامة والمهابة السلطان ملجأ الإسلام ملك الملوك الذي من جنوده الملائكة الكرام. وقد ازدانت أيضًا يد التكريم بورود ما صدر محفوظًا بالشرف سابقًا ولاحقًا في هذه المرة من نحو أمرين أو ثلاثة أوامر من أوامر ولي النعم السامية.

ووصلت أيضًا إلى عبدكم مكاتيبكم السامية الخديوية المحررة خطابًا لباشوات مقاطعات الجزائر وتونس وطرابلس الغرب ومراكزها العسكرية (وجاقات)، وحيث كان ورودها عقب إرسالي رجالًا إلى هؤلاء الباشوات بيوم تحريضًا لأهالي تلك البلاد على الجهاد والغزوة والمحاربة ضد أشقياء البحر قائلًا لهم إن هذا الزمن إنما هو زمن الخدمة للدين المبين، وللدولة العلية الأبدية، وزمن اكتساب حسن التوجه الخسروي من حضرة مولانا السلطان الحارس ملك ملوك وجه الأرض صاحب الشوكة والكرامة، فقد أرسلت هذه المكاتيب السامية الواردة من ولي النعم بعد يوم من ورودها إلى الباشوات الموحى إليهم بحرًا بانتداب رجل من أتباعي عبيدكم لذلك مع الاستعجال بشأن عودته بأجوبتها، وقد صارت إفادة ما ذكر باعثًا لعرض عبوديتي؛ فالأمر والإرادة لدى حصول الشرف لنا بوصول هذه العريضة إليكم، وإحاطة علمكم العالي الشامل للعالم بذلك، ٢٩ رمضان ١٢٣٦هـ.

الوثيقة رقم (٢)

الموضوع: رسالة من محمد علي إلى السلطان العثماني محمود خان بشأن إرسال سفنه للمساعدة في تأديب الثائرين ومساندة الأسطول العثماني ضد مراكب اليونانيين.

المصدر: دفتر ٤ معية تركي - ترجمة المكاتبة التركية رقم ٢٨٨.

تاريخها: ١٠ شوال ١٢٣٦هـ.

إلى الصدارة العليا..

حضرة سلطاني ومولاي صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهة، ولي النعم العالي الهمم الكثير اللطف والكرم.

سبق الإنهاء في عريضة عبدكم المقدمة إلى مقامكم العالي بتاريخ ٢٩ رمضان أنه ستجهز بهممكم السامية ثماني عشرة سفينة من سفن عبدكم الموجودة في ميناء الإسكندرية، ومن السفن المشتراة من تجار أوروبا ويعين عبدكم محمد أغا طبوزادة من رؤساء البوابين بالديوان العالي قائدًا عليها ويرسل بعد العيد إلى جهة رودس، وحيث إنه توجد سفينة من الأسطول في الإسكندرية فستلحق تلك السفينة بعد شحنها بالمهمات والعساكر بتلك السفن، كما أنه توجد سفينتان لصهري محرم بك وسفينة لي في رودس وبدروم وسفينة أيضًا من الأسطول الهمايوني في رودس، وسترسل العساكر والمهمات إلى تلك السفن، وتلحق بالسفائن السابقة الذكر أيضًا،

وأنه قد نبه على عبدكم المومأ إليه أن يتجول ويطوف في تلك المياه ويسرع في اللحاق بالأسطول الهمايوني ويسعى جهده بالاتفاق في قهر أشقياء البحر وتدميرهم، وأنه ستعزز تلك السفائن من ورائها بترتيب وتجهيز سفن من سفن عبدكم ومن السفن التي اشتريتها من أتباعي ومن تجار أوروبا وبإرسالها، وبعد أن تجتمع السفن المذكورة من سفن الأسطول الهمايوني، وبعد أن تتم مهمة قهر أشقياء البحر وتدميرهم فإلى أي اتجاه سيرت تلك السفن، وبأي مهمة أمرت يرسل إليها من ورائها العساكر البرية، وسائر المهمات بسفن التجار، وكان أشير أيضًا في تلك العريضة إلى أنه قد استؤجرت سبع سفن من تجار الإنجليز لإيصال الذخائر إلى الأستانة العلية، وحُمل عليها تسعة وسبعون ألف كيل ومائتا كيل من القمح فأصبحت جاهزة للإرسال، على أن تُسلَّم للمخازن العامرة، فها هي بحمد الله تعالى قد أرسلت السفائن المذكورة إلى جهة رودس في اليوم الحادي عشر من شوال المكرم الجاري بهواء لطيف وريح موافقة، وأوصى القائد المومأ إليه أن يلتحق بالأسطول الهمايوني في أقرب وقت، وأن يتحد ويتفق مع مأموري السلطان الهمايوني، وأن يبرزوا مآثر الحمية والغيرة في قهر أشقياء البحر واستئصالهم، وفهم تلك الوصايا، وبلغ إليه أيضًا أنه إذا تعذر المرور بسبب قفل المضايق، وتعذر اللحاق بالأسطول الهمايوني، لا يقيم في مكان ما عاطلًا، بل يبقى ناشرًا للقلوع ومادًّا أنظار التبصر إلى الأطراف، ويهاجم سفن الأشقياء إذا صادفها مستعينًا بالله غير مكترث

بقلتها أو كثرتها، وينزل العساكر الجزر العاصية ويضربها ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

ومن المعلوم أنه إذا ضرب سرب أو سربان من سفن الأشقياء المذكورين، وقعت الإغارة على جزيرة أو جزيرتين منها أسرًا وقتلًا لأهلها، ينعكس طالعهم، ويستولي الرعب والخوف على قلوبهم، وتشتت جماعتهم، وتزداد عساكر المسلمين شوقًا وغيرة، وتمتلئ قلوب الموحدين قوة وسكينة.

الوثيقة رقم (٣)

موضوعها: ترتيب المؤن لحملة المورة.

مصدرها: دفتر ١٣ معية تركي.

تاريخها: غرة رجب ١٢٣٩هـ.

من: محمد علي.

إلى: جناب الصدر الأعظم.

حضرة سيدى صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهة ولي النعم عالي الهمم كثير اللطف والكرم.

حيث إنه جرى في هذه السنة العميمة المنة ترتيب وزراء ومأمورين وعساكر كثيرة لأجل الهجوم على أطرافها أيضًا برًّا بفرق متعددة واستعدادات قوية، والسعي في التغلُّب على عصارة الكفرة، والإقدام على ذلك بالاتحاد، وبلغ عدد المأمورين والعساكر المرتبين عددًا يتراوح بين الخمسين ألفًا والستين ألفًا، على أن يتجمعوا عقب يوم أول الربيع، كما أنه اقتضى المبادرة إلى وسيلة تدارك المؤن أيضًا بصورة مستوفية لكيلا يحصل أي خلل في أثناء العمل من عدم وجودها، غير أنه بالنظر إلى تعسر مداركة الذخائر الوفيرة من جهة الروملي المصابة بالمحن والأرزاء منذ مدة لهذا العدد الكبير من العساكر، وتعذّر توصيلها إلى هناك من محلات أخرى ترتيب مؤن مختلفة الأنواع من جهة مصر بمقدار خمسمائة ألف كيل إستانبولي،

وتعلقت الإرادة السنية بخصوص ترتيبها سريعًا، وإرسالها إلى مورة بحرًا بتحميلها في السفن في أول الربيع بمنه تعالى، على أن يكون أكثرها بكسماطًا ودقيقًا، وما عداه شعير وفول، وعلى ألَّا يخل ذلك بتقديم المدد والمعونة لكريد، ثُمَّ أُصدر بهذا الخصوص أمر عالٍ مرشح أعلاه بالخطوط السلطانية، وأرسل مع عبدكم صاحب السعادة محمد نجيب أفندي، من رجال الدولة العلية، والناظر الحالي لدار البارود العامرة، ووكيلي لدى الباب العالي، على أن يبلغني الخصوصات اللازمة شفهيًّا، وأن نيل العساكر المسوقة إلى كريد في الأول والآخر الغلبة والنصر، وحسن اجتهادي أوجبا كمال المسرة الملكية وحصل التفضل بالعناية والإحسان بثوب سمور مزركش سلطاني مستوجب السرور، وسيف ملكي مرصع مدمر العدو وأرسل كذلك مع وكيلي المومأ إليه، فقد استقبل بموكب عند وصوله إلى أطراف مصر، ووروده إلى جوار باب النصر، وتقبل بخطوات التعظيم والتبجيل عند قدومه إلى محل الديوان وأتمت مراسيم محاسن التكريم والتبجيل وجعلت الفروة المذكورة زينة لكشف الافتخار، والسيف الذي ربط في الوسط رمزًا للغيرة والإقدام، ثُمَّ صار الدعاء لدوام وتأييد عمر وشوكة حضرة الخليفة زينة للألسنة القرينة الإخلاص والثناء لقوام وتأييد شأن وسلطنة السلطان وأصلًا إلى السماء العالية، فالمولى خالق الأرض والسماء.

يجعل عمر وشوكة ولي نعمتنا وأفندينا صاحب الشوكة والمهابة والكرامة سلطان العالم وملك الزمان بحيث لا نهاية لهما، ويجعله

ممنونًا وسعيدًا بنيل معالي النصر والظفر والفتوحات ومظلل الأمن والأمان لمفارق الملك والملة بظل عاطفته السلطانية ثُمَّ يجعل ذاتكم الولية النعم العالية مسرورة ومحبورة في إيوان صدور الأوامر وعينًا لامعة للزمان والأيام في محفظة خاتم الدولة والإقبال.. آمين. وهذا وقد حررت عريضة عبدكم، وقدمت إلى عتبة إجلالكم بالخضوع والابتهال بخصوص التماس توجه ولي النعم السامي، وفي سياق إظهار الشكر والممنونية والإفادة عن المائة ألف أردب الغلال المصرية التي صدر الفرمان بشأنها سيجري ترتيبها وتحميلها في السفن، وإرسالها إلى مورة وإلى المحلات الأخرى التي فيها المأمورون بالمخابرة، ثُمَّ إن الوصايا السنية والتنبيهات السلطانية التي أودعت في حافظة الأفندي المومأ إليه صارت حلية لمسامع تيقني وانتباهي واحدة فواحدة، فستنفَّذ بكمال المطاوعة مع إيفاد لوازم العبودية، كما أن أمر ولي النعم السامي الشامل كل كيفية وخصوص بهذا الشأن، والمشتمل على أنواع المحاسن والتوجه الذي أرسل مع عبدكم الأفندي المومأ إليه صار زينة ليد التعظيم، وكل خصوص أصبح معلومًا بذهن عبدكم الوسيم الإخلاص على نحو ما بسط فيه وذلك بمطالعته مرة أخرى، وقد جعل إنفاذه فرضًا على عهدة العبودية وأنه أُرسل الآمران إلى متصرفي الجزائر وتونس برًّا مع الهجان، فلدى الوصول إن شاء الله تعالى، وإحاطة علمكم العالي بأن عبدكم ليس له أمل سوى الخدمة والغيرة في سبيل الدين والدولة العلية، وأن هذه الخدمة ستجرى بكل الممنونية، ويحصل

الاعتناء في إنفاذ وإجراء مقتضى الأمر السلطاني، والتنبيهات الملكية المقرونة بالكرامة. فإن الأمر والفرقان بخصوص التفضل بإسداء توجهات وتعطفات ولي النعم للعبد.

الوثيقة رقم (٤)

موضوعها: رغبة محمد علي في توحيد القيادة العليا للأسطول ووضعها في يد ابنه إبراهيم.

مصدرها: دفتر ١٣ معية تركي - ترجمة في المكاتبة التركي رقم ٢٢١ ص ١٠٤.

تاريخها: غرة رجب ١٢٣٩هـ ١٨٢٤م.

من: محمد علي باشا.

إلى: الصدر الأعظم.

حضرة سيد صاحب الدولة والعناية والعطوفة والرأفة والأبهة ولي النعم عالي الهمم كثير العطف والكرم.

صدرت أخيرًا الإرادة القاطعة السلطانية بمأموريتي على المورة وانتدب لإبلاغها إياي عبدكم صاحب السعادة نجيب أفندي (القبو كتخدا)، ثم لدى وروده أصبحت مضامين ومزايا الأوامر العالية والمكاتبات السنية التي يحملها معلومة للعبد، نُقشت التنبيهات السنية السلطانية المودعة في حافظة على لوح الخاطر من تقريره الشفهي، ولعلمي بأن القيام دائمًا بحسن الخدمة وبمصلحة الدين والدولة موجب للفخر، ومؤدٍّ لسعادة الدنيا والآخرة. وبالنظر إلى أني عبد للدولة العلية متواضع ومحسوب للسلطنة السنية نشأ بنعمها قد بعثت إحالة مصلحة المورة إلى عبدكم أنواع المسرة والفخار، وبما أنه لا يوجد أي نقص في خصوص المهمات والعساكر والمؤن في ظل

الحضرة السلطانية، فإن شاء الله تعالى سأرسل عبدكم صاحب السعادة ولدي إبراهيم باشا باستعدادات قوية، وعساكر كثيرة، وجعله ينسق هذه المصلحة بحسن توجه ولي النعم، غير أنه لما كان توحيد الكلمة وإعطاء النفوذ والاستقلال للمشار إليه في مهمةٍ مثل هذه المهمة من مقتضى الحال، فإن التفضل بالإحسان إلى سعادته برتبة القيادة العليا للأسطول السلطاني الذي سيرسل بالمقدار المخرج في السنة السابقة وتفويضه بمقتضىً ما لتصفية وتطهير جزيرة المورة وجزر البحر المتوسط إلى سعادته بالاستقلال على ألا تحصل مداخله من طرف المأمورين الآخرين في مسألة الجزر المذكورة بوجه من الوجوه ثُمَّ توجيه أيّالة المورة الآن إلى عبدكم المشار إليه على أن توجه إلى الذي يراد من طرف الدولة العلية بعد اقتران المسألة بالختام، وتدارك خيول وبغال بمقدار يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف من الروملي، وتهيئتها بميناء بره وزه لجلبها إلى المورة واستخدامها في خصوص نقل المؤن والمهمات على أن تعطى قيمتها أو أجرتها من طرف عبدكم هو من رجاء المحسوب لكم، كما أن حصول مساعدة ولي النعم السنية بذلك هو من ملتمس العبد، وأن الخصوص اللازم والمقتضى أدرج في عريضة عبدكم نجيب أفندي، وعليه فإن الإفادة بما ذكر أوجبت عرض عبوديتي، فإن شاء الله لدى حصول العلم لولي النعم فإن الأمر والفرمان بخصوص التفضل بإبداء مساعدتكم الخديوية وإسداء إسعافاتكم البهية من مسؤوليات العبد.

الوثيقة رقم (٥)

موضوعها: تكليف إبراهيم باشا باستئصال شأفة ثوار المورة وتأخره في أداء مهمته حتى تكتمل الاستعدادات اللازمة لذلك.

مصدرها: ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦ محافظ بحر برا محفظة رقم «٩».

تاريخها: ٥ رمضان ١٢٣٩هـ.

مكاتبة بختم محمد علي.

سيدي صاحب الدولة والعناية والعاطفة والأبهة ولي النعم عظيم الجود والهمم، لقد تلقيت أمركم الكريم الذي تفضلتم وأشرتم فيه إلى أن الحضرة العلية السلطانية على الرغم مما بذلنا من الجهود في سبيل إنهاء أمر المورة منبع فساد الأمة اليونانية لم يتيسر حتى الآن معالجة هذه الحالة، الأمر الذي كان له وقعه المؤلم عند جلالة السلطان. إن جلالته قد قابل رغبتي الصادقة في القيام بهذه المهمة بالرضاء السامي، حيث وجهت إلى عبدكم الوزير المكرم نجلي سعادة إبراهيم باشا، والي جدة، القيادة العليا للأسطول المصري السلطاني وولاية المورة ليدبر شؤونهما برأيه المستقل، كما عهد إليّ سعادته بتطهير بعض الجزر من الأشقياء وقد عُيّن في مَعيّته – عدا السفن الحربية العشرة إلى أوفدت إلى الإسكندرية بقيادة البطرونة همايون – السفن الحربية العشرة في مياه بالية بادرة

بقيادة خليل بك الجشمة لي – وصدر الأمر الكريم إلى خليل بك بذلك، وأجيبت ملتمساتي الأخرى التي كان من المستطاع إسعافي بها، وقد تفضلتم ونوهتم كذلك بأن سعيد أنور أفندي قد قام إلى هنا ليحمل لسعادة نجلي المرسوم الصادر «بالتوجيه» وانتدابه لهذه المهمة، ثُمَّ طلبتم أن يقوم نجلي الباشا المشار إليه بمن في معيته من العساكر والمهمات والعتاد في أقرب وقت، وأن يسعى السعي الحثيث لإنهاء أمر المورة وجزيرتي جامليجة وصوليجة. ولقد تلقيت كذلك الأوامر العلية التي نوهتم عنها ووقفت على مضمونها الكريم، أدام الله حضرة صاحب الشوكة والقدرة ولي نعمتنا ومولانا السلطان، وأبقاه مدى الدهر على أريكة ملكه متمتعًا بصفاء البال واستقرار الحال، وخذل الله أعداء الخلافة والدين والدولة، ومنَّاهم بالتشتت والاضمحلال.. آمين.

إن جلالة مولانا السلطان ليعلم أنني العبد الذي وقف نفسه لخدمة الدولة العلية الأبدية الدوام والسلطنة السرمدية القيام، والذي لا يضن بالنفس والنفيس في سبيل الدولة العلية، وإن الإرادة السلطانية التي تشرفت بتلقيها والقاضية بإحالة أمر معالجة هذا الخطب الجسيم على نجلي لما تستوجب الفخر العظيم لهذا السعيد بين الأقران، وتشع في نفسي السرور والحبور، ولقد رفعت أكف الضراعة إلى الله المرة بعد المرة بدوام بقاء جلالته.

إن نجلي المشار إليه ومن في معيته من العساكر والمهمات والذخائر

على استعداد للحركة على نحو ما بينه أخيرًا عطوفة نجيب أفندي قبو كتخدا، غير أن السفن السلطانية التي ستصل إلى هنا بقيادة خليل بك لم يظهر لها أي أثر بعد، وهي بعد وصولها إلى هنا لا بُدَّ من التريث مدة من الزمن لإكمال نواقصها وترميم النواحي التي تحتاج إلى الترميم فيها، ثُمَّ إن السفن التي تقرر إبحارها إلى هنا من موانئ بر الشام لم تصل كذلك، ولا أدري ماذا تم بصددها، وكذلك السفن المتآمنة التي ستصل من الأستانة وعليها صهاريج الماء لم ندرِ عنها أي شيء حتى الآن، ومن أجل هذه الأسباب تأخَّر قيام نجلنا إلى ما بعد العيد، وسيتحرك من هنا في اليوم الثاني أو الثالث من العيد إن شاء الله تعالى.. هذا وإني لأرجو أن يبذل لنجلنا عطف ولي النعم الجزيل الكثير البركات – الذي هو أشد مضاءً من الإكسير – حتى ينال النصر وتلاقي خدماته الرضاء السامي السلطاني، وأخيرًا أقرر أنني لا أستطيع أن أفي هذه التعطفات السنية حقها من الشكران، والأمر والإرادة لحضرة صاحب الدولة والعناية والعاطفة والأبهة ولي النعم عظيم الجود الهمم سلطاني.

ختم محمد علي.

وارس مع

المحتويات